الخطابُ الذُّكوريُّ ـ النِّسويُّ في الشِّعر القديم

(البنية والنَّسق بين الائتلاف والاختلاف)

د. محمد سيد علي عبدالعال

أستاذ الأدب العربي المساعد كلية الآداب – جامعة العريش

توطئةٌ:

هل يُعَدّ من اللّائقِ إعادة إثبات دور المرأة العربيّة في بنية الثَّقافةِ العربيّةِ عبر أنساقها المختلفة، وما يتأصَّل في نسيجها من خِطابٍ شِعريٍّ؟ لَعلّ هذا السُّؤال هو أحد دوافعِ هذه الدّراسةِ، بعدما ظهرت في الآونة الأخيرة دراساتٌ كثيرةٌ، تتّهم الثّقافة العربيّة بتهميشِ هذا الدّور واحتقاره، مدعومة بتنظيراتٍ جندريّة ونسويّة وثقافيَّةٍ، تُسقطها على نُصوصٍ بعينها، تُكرِّرها في انتقائيَّةٍ واضحةٍ، وتأويلٍ مُفرطٍ؛ بما يُجافي الرّوح العلميّة، متجاهلةً نصوصَ التُّراثِ النِّسويِّ التي لم تكُن قد حُقِّقت بعدُ، وحين خرجتْ إلى النُّور بدَت المرأةُ العربيَّة في صورة ذهنيَّة مختلفةٍ عن تلك التَّمثُّلات الثّقافيَّةِ، التي كان من ملامحها المميزة ذُكُوريّة الشّعر، ومن ثمَّ ذكوريّة الثّقافة؛ ولذا تتجاوزُ هذه الدِّراسة تلك الرُّؤى المستنسخة من مقولاتِ النّسويّةِ، والجندريّة متوخيةً الحيادَ العلميِّ، مؤمنة بالنّسبيّة التي فرضتها الطّبيعة بين الجنسين، متجنِّبةً التّنظيراتِ واعتساف النّصوص لقلب الحقائق، مؤمنة بأنّ لكلّ نصٍّ سياقهُ الثّقافيَّ الملتبس والمتلبّس به إنتاجًا وتلقيًّا؛ ولذا تحاول سبر ميدانٍ من أهمِّ ميادين المنافسةِ والمُغالبة بين الخطاب النِّسويِّ والخطابِ الذُّكُوريِّ في نصٍّ يقوم على حوار تفاعليٍّ بينهما، يتداخل فيه الخطابان؛ الذُّكوريُّ والنّسويُّ، الشِّعريُّ والسرديُّ، منطلقةً من دراسةِ الخِطاب، سواء بوصفهِ خِطابًا حواريًّا تفاعليًّا بين شِعرٍ نسويّ وقسيم ذُكوريٍّ، أم بوصفهِ نصًّا لهُ خصائصُهُ المميّزة، في ظلِّ أنساقٍ ثقافيّةٍ محيطَةٍ به، ومُهيمِنة عليه.

يتحقَّقُ نموذج الخطاب الشّعريِّ الذُّكوريّ- النّسويِّ ، المقصود هنا، في الإجازةِ، والتّمليطِ، والإنفادِ، والمُمَاتَنَةِ النِّسويّة للشِّعر الذُّكوريّ، بوصفه أُنمُوذجًا دالًّا، بما يمتلكُه من خصوصيّة الامتزاج والائتلاف في شقٍّ منه، والمُنافسة، والمُغالبَة، تحقيقًا للهُويَّة النِّسويّة، وانتزاعًا لشَهادة الذَّكَر، في الشِّقِّ آخر، مغالبة ليسَتْ مِن باب الصِّراعِ الوَهميِّ المُفترضِ، بل من بابِ التَّكامُل الإنسانيّ، والاختلاف المُؤدِّي إلى الائتلافِ في بنى الخطابِ.

وصحيحٌ أنَّ الرِّواياتِ التي تحُفُّ هذا الخِطابَ المُؤتلفَ، أو المؤتلف المُختلفَ محفوفةٌ بالحَذَرِ والحَظرِ لأسبابٍ، يأتي ذكرها، ولكنَّها تبقَى في النِّهايةِ ذاتَ دَلالاتٍ ثقافيَّةٍ خاصَّةٍ، تستمدُّها حينًا من الخَبر السّرديِّ المُكمِّل للخِطابِ الشِّعريِّ، وحينًا من خصائصِها المُميّزة، بصَرفِ النَّظر عن المعيار الكمّيِّ الذي يحسم الشّعريّة للخطاب الذُّكوريّ سلفًا لأسبابٍ كثيرةٍ، كثر الحديث فيها؛ منها الرّواية والتّدوين، وغير الرِّواية والتَّدوين من سياقات محيطةٍ بالخطابِ الشّعريّ العربيِّ، وهو حكمٌ يختلفُ باختلاف الأنساقِ الثَّقافيّة الملتبسة به.

أطروحات البحث:

تدور حول الماهيّة، والتَّأصيل، والكيفيّة، والأنساق من خلال محاولة الإجابة على تلك التّساؤلات: ما المقصودُ بالخِطابِ الذُّكُوريّ- النّسويّ ؟ وما صُورُهُ، ودلالاتُهُ؟ ومتى كانت بداياته

الأولى؟ وأين؟ وهل صحيحٌ ما ذهبت إليه بعض الآراءِ التي زعمَتْ أندلسيَّةَ هذا الخطاب الشّعريّ، أو تلك التي قصَرتْه على إماءِ العَصرِ العبَّاسيِّ؟ وما مدى سيرورته وصيرورته بين التّخطّي والالتزام، وبين الاحتفاء والتّهميش، والشَّفويّة والكتابيّة؟ و ما سياقاته الثّقافيّة الحاضنة له إبداعًا وتلقيًّا؟ وكيفَ نفهم شعريّته في ظلّ كونه خطابًا حواريًّا تفاعليًّا؟

يركّز البحثُ على الخطابِ الشّعريّ، الذي يُمثّلُ فيه الخِطابُ النّسويُّ شريكًا فاعلًا، ومكملًّا حقيقيًّا للخطاب الذُّكوريّ، وملامح الصُّورة الذِّهنيّة التي يُشكّلها من خلال المعنيين الظَّاهر والباطن، بعيدًا عن أجواء الموضوعاتِ المُحدّدة التي نُظر إليه من خلالها نظراتٍ عَجلَى في أُطرٍ موضوعيّة؛ كالرِّثاءِ والهِجاءِ والغَزلِ خاصّة.

- **تحرير المُصطلحات**:

يقصد بمصطلح الخطاب النّسويّ في هذا البحثِ، بعيدًا عن الجدل الواسع حول ما يثيره من إشكالات واختلافات[١]، ما تبدعه النّسوة في هذا الخطاب التّفاعليّ مع الخطاب الذّكوريّ.

وبالرُّجُوع إلى مَعاجم اللُّغة والمُصطلحاتِ البلَاغيَّةِ والنَّقديَّةِ نَجِدُ تداخُلًا وتقاطُعًا، وترادُفًا أحيانًا، بين مصطلح "الإجازة" والمصطلحات الأُخرى الممثّلة لنموذج الخطاب المقصود؛ كالمُماتنةِ، والتَّمليط، والإنفادِ؛ فكُلُّها تدورُ حولَ ابتداءِ شاعرٍ بالقولِ، ثمّ إكمال آخر هذا القولَ، سواءٌ أكان إتمامَ شطرٍ بشَطرٍ، أو بيتٍ ببيتٍ أو بيتينِ، بالوزن نفسِهِ والقافيَة نفسِها، مع سيطرة ضَمائر البَادِئ، ورؤيتهِ، وتَمثُّل مشاعرهِ غالبًا، أو مُخالفتها أحيانًا.

وقد يستمرُّ هذا التّفاعل؛ فيَحمَى أحدُهما؛ فيُتمُّ مقطَّعةً أو قصيدةً كاملةً، سواءٌ أكان الدَّاعي لذلك عَفوًا، أم قصدًا، مَحبَّةً واعترافًا بالنُّبُوغ والشَّاعريّة، أم منافسةً واختبارًا وتعجيزًا. [٢]

ومع أنَّ المُصطلحاتِ المذكورة آنفًا قد تترادفُ، أو تتفاوتُ قليلًا، عند النُّقَّاد القدامى؛ فيُمكنُ استنتاجُ بعض المفاهيم الأوليَّة التي تُسهِم في تصوُّر كلِّيٍّ لهذه المُصطلحات المُتعالقة.

ترتبطُ الإجازةُ بمفهوميها اللُّغويّ والاصطلاحيِّ بدَلالاتِ الإغاثةِ الفنيّة بالإسراع إلى نَجدَة الشّاعر الذي أُرْتِجَ عَلَيْه، أو وارْتُجَّ، وأَجْبَلَ، وعَجزَ عن متابعة دَفقتهِ الشُّعوريَّةِ، ولعلّ في دَلالاتِها اللُّغويَّةِ ما يشي بهذا الإنقاذِ السَّريع، وإغاثةِ اللّهفة الفنيّة. يؤكّد ذلك دلالاتها اللغويّة التي تشير إلى تبادلِ رِشاء الدَّلْو في البئر، أو سَقي شخصٍ آخرَ ظمآنَ، أو تشبيهًا لها بطَرفَي القِماطِ أو كتِفي الفَرَسِ، وما أشبه ذلك من التّكامُل، والتَّواؤم، والالتِحام، والّتناسق، والالتئام، والائتلاف؛ فكُلُّها معانٍ إيجابيَّةٌ.

والإجازة في الاصطلاح النّقديّ أنْ يكمل شاعرٌ معنى شاعرٍ آخر استجازهُ؛ أي طلبَ منه ذلك، وفي اصطلاح العلوم الشّرعيّة، خاصّة، شَهادة العالم للمُتعلّم بإتقانِ التّخصُّصِ، وعدَّها بعضُهم

---

١ – يُرَاجَعُ، لغة الشّعر النّسويّ العربيّ المعاصر، فاطمة العفيف، إربد، عالم الكتب الحديث،٢٠١١م،٢٤.

٢ – يُرَاجَعُ، العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، ابن رشيق القيروانيّ(أبو علي الحسن بن ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: النَّبوي شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م، ٧٢٨/٢.

عيبًا من عيوب القافية؛ يَعْنُونَ بها اختلافَ حركاتِ ما قبل الرّوِي[٣]، وممّا يتّصل بها المُماتنةُ، ويحمل دالُّها اللُّغويّ والاصطلاحيُّ دلالاتِ الجَدَلِ، والصِّراعِ، والتَّدافعِ، والتَّباري الخَشِن؛ ولعلَّ في تلك الدّلالات ما يفسِّرُ نَهْيَ النّبيّ ρ عن المُماتنة عامَّة[٤]، كما تحملُ تفسيرًا لعدم انتقالِ هذا المصطلح؛ كما انتقلتِ الإجازة، من الشِّعر إلى العُلوم الأخرى.

وينوسُ التّمليطُ بين مفهومي الإجازة و المُماتنةِ؛ لأنَّ المقصود به في الاصطلاح أنْ يقول شاعرٌ شطْرًا، ويُكمِل الآخرُ، على سبيل التّساجل إلى أن ينقطِعَ أحدُهما، ويعجز عن القول [٥]؛ كتلك الرِّواية المشهورة بين امرئ القيس والتَّوءم[٦]؛ فهي أقرب للتَّنافس بالقول؛ ولذا فهي تسمحُ بأكثر من متنافسين حتّى يسقطوا جميعًا إلا المُنتصر[٧]، وإن كانت المنافسةُ فنيّةً، ورياضة في القولِ، على سبيل التّملُّح، والتّسلِّي، لا التّشاحُن؛ وبذا يكونُ التّمليطُ أقربَ إلى اشتقاقه اللّغويِّ، الذي تشير دلالته إلى المِلاط؛ أي الطِّين الذي يمتزج بين سُطُورِ البناء، فيتماسك في حائط واحدٍ ملتئم[٨]؛ فالغَرضُ منه البناءُ والالتئام، لا الهدمُ والاختلاف.

والإنفادُ(بالدّال معجمة ومهملة) أقربُ للتّمليط؛ لأنّه يتطلّبُ المُغالبة حتّى تنفدُ طاقةُ أحدِهما،[٩] ولكنّها مغالبةُ المزاح والمباراة، والمران، والتَّدريب بين أكفاءٍ على سبيل الطُّرفةِ والظَّرفِ، بما يسمح باعترافِ الخاسر بانتصار المنتصر.

ومع ذلك؛ فالخِطابُ في اللَّهو والباطل؛ كما يذهب القدماء، أمكنُ منهُ في غيره[١٠].

ولعلّ القاسمَ المشتركَ بين هذه المصطلحاتِ مجتمعة، والفارقَ بينها وبين ما يشبهها من نماذج الخطاب الذّكوريّ- النِّسويّ الأخرى المستبعدة في هذا البحث؛ كالتّضمين والمراسلات والإجابات

---

٣ – يُرَاجَعُ، السابق،٢/٧٢٩،وما يجوز للشَّاعر في الضَّرورة، القزّاز القيروانيّ (محمد بن جعفر أبو عبد الله ت ٤١٢هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، وصلاح الهادي، الكويت، دار العروبة، الكويت،١٩٨٢م ،١٥١.

٤ –يُرَاجَعُ، الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة، كمال أمين، عمان، دار الجنان، ٢٠١٥م، ٧٧.

٥ – يُرَاجَعُ، العمدة، ٢/٧٣١.

٦ – يُرَاجَعُ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٣م، ٢٢٩ –٣٣٠، شرح شواهد المغني، السّيوطيّ(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت ٩١١ هـ)، تحقيق: أحمد ظافر، القاهرة، لجنة التراث العربي، ١٩٦٦ م، ٢٥–٢٦.

٧ – يُرَاجَعُ، العُمدة ،٢/٧٣١–٧٣٣.

٨ – يُرَاجَعُ، السّابق ،٢/ ٧٣٣.

٩ – يُرَاجَعُ، نَضرَة الإغريض في نُصرة القَريض، المظَفَّر العلويّ (الفضل بن يحيى، أبو علي، ت٦٥٦هـ)، تحقيق: نهى عارف الحسن، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية،١٩٧٦م،١٩٤.

١٠ – يُرَاجَعُ، المنصف للسّارق والمسروق منه، ابن وكيع(الحسن بن علي ت ٣٩٣هـ)،تحقيق:عمر إدريس، بنغازي، جامعة قار يونس، ١٩٩٤ م،١٢٨.

وخطاب الحبيبين، والزّوجين، أنَّها تُقال على البديهةِ والارتِجال وعفوِ الخَاطر، في حين تأتي الصّور المستبعدة، غالبًا، بعد التّمهّل، وكَدّ الذِّهن؛ فالمُضمِّنُ، مثلًا، يختارُ برويَّة من شعرِ غيرِهِ الذي يُضمّنه شعره على سبيل التّمثّل وإكمال معناهُ[١١]، وإن كنَّا نلمح عند ابن أبي الإصبع ترادُفًا بين التَّمليط والتَّضمين[١٢] ، والّتضمين المقصود في هذا الخِطاب هو تضمين شطرٍ من شعر شاعر آخر لا التّضمين العروضيّ؛ الذي يعني تعلُّق معنى البيت بما يليه[١٣] ؛ فالأمر على السّعة فيه، وفي الصور الأخرى المشبهة له .

ويمكن تقسيم نماذج الخطاب المنتخب، هنا، إجرائيًّا إلى محورينِ؛ هما خطاب الائتلاف، والخطاب المؤتلف المختلف.

أولًا : خطاب الائتلاف:

يشمل هذا الخطاب الإجازةَ ، والإنفاد، أو الإنفاذ، والتّمليط، وسأكتفي بشواهد من الإجازة، تمثيلًا لهذا الخطاب الذي كثرت شواهده إلى حدٍّ لافتٍ في المدوّنة التُّراثيّة لدى الجاحظ، وابن قتيبة، والأصفهانيّ، وابن عبدربّه، والمرزبانيّ، وابن رشيق، وابن الجوزيّ، والمظفَّر العلويّ، وابن ظافر الأزديّ، والصّفديّ، والسّيوطيّ، والمقّريّ وغيرهم كثير، كما نجد لها نماذج مبثوثة، وأبوابًا مفردةً في المكتبة النّقديّة والبلاغيّة، والكتب التي ألّفت في النّساء عامة، والشّواعر خاصّة، وكتب الحبّ العربيّة، كما نجد أمثلة كثيرة متنوعة منها في كتب التراجم والتّاريخ؛ فضلًا عمّا صنّف من كتب مستقلّة لخطابِ الائتلاف؛ الذّكوريّ، والذّكوريّ- النّسويّ؛ كبدائع البدائه، والمجاراة والمجازاة، والمنتقى وغيرها .

خطاب الائتلاف (السّيرورة والصّيرورة) :

خطاب الائتلاف قديمٌ قِدم الشِّعر، وثمَّةُ رواياتٌ مُغرِقةُ في قِدمها تُرجعُه إلى امرئ القيس والتّوءم اليشكريّ[١٤]، وإنْ جاء على سبيل المنافسة والتَّحدّي، أو السّعي إلى إكمالِ المعنى وتتميمهِ في أوَّليَات الشّعر العربيِّ وميلادِهِ؛ [١٥] فقد حفظت لنا المدوّنة الشِّعريَّة استغاثاتُ كبار شُعراء المعلّقاتِ ببعضهم؛ كاستجازة زُهيرِ بنِ أبي سُلمَى النّابغَةَ، ولمَّا لمْ يُجزْهُ استجازَ ولَده كَعبًا

---

١١ – يُرَاجَعُ، العمدة ،٢/٧٢٨–٧٣٣، ومطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد ت ٥٢٨هـ)، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣ م،٢٣٦

١٢ – يُرَاجَعُ، تحرير التحبير، ٣٨٢.

13 – يُرَاجَعُ، المنصف للسارق والمسروق منه،٣٧٦، الشفاء في بديع الاكتفاء، النَّواجي،(شمس الدين محمد بن حسن ت ٨٥٩هـ)، تحقيق: محمود أبو ناجي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م، ٤٨، ضرائر الشِّعْر، ابن عصفور(علي بن مؤمن ت ٦٦٩هـ)،تحقيق: السيد إبراهيم، القاهرة، دار الأندلس، ١٩٨٠ م ،٢٣٦.

١٤ – يُرَاجَعُ، العمدة،٢/ ٧٣١.

١٥ – يُرَاجَعُ، تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٧٤م، ١٨/٣.

فأجازَه[١٦]؛ فكانت هذه الإجازةُ إعلانًا بميلادِ شَاعرٍ، واعترافًا من أبيهِ الفَحلِ، أبرز أعلام مدرسةِ عبيدِ الشِّعر، بتلك الشّعريّةِ المبكِّرة، ولعلّ وجودَ النَّابغةِ في هذه الرِّوايةِ، بوصفهِ نابغةَ الشُّعراء وناقدهم الأوَّل، وعجزهِ عن إجازة زُهيرٍ، توكيدٌ على ميلاد شعريّة كَعبٍ ونبُوغِه المُبكِّر.

وعلى كلِّ حالٍ؛ فقد استمرَّ خطابُ الائتلافِ في مدرسة عَبيد الشِّعر، وإن أبَى الحُطيئةُ، أحيانًا، إجازة من استجازه لعِلَّةٍ في نفسِه[١٧].

وتأتينا رواياتٌ من العصر الأمويِّ لآخرين من الفُحول غير أعلام الصَّنعة المعروفين؛ كالأخطلِ الذي يُجيز مَن يَستجيزُهُ[١٨]،وإنْ لم تكن الإجازة مأمونةَ العواقبِ دائمًا؛ فلأبي النَّجم العِجليِّ(ت١٣٠هـ) قصَّةٌ مشهورةٌ ؛فقد أمرَ هشام بن عبدالملك بدقِّ عنقِه بسببها؛ لأنّه اضطرّ؛ لما يستلزمُهُ الخطابُ من بداهةٍ، أن يجعلَ كلمة(الأحول) في القافية؛ ففهمها هشامٌ على التَّعريضِ[١٩].

ونشط هذا الخطابُ أكثر في العصر العبَّاسيِّ لأسباب حضَاريّة معروفةٍ؛ منها المجالسُ الشِّعريَّة، والأسمار، ومجالسُ الغناء، وكثرةُ القِيانِ المدرّبات على فنُون القولِ، وما يتمتَّعن به من ذكاءٍ، وسرعة بديهةٍ، وقوَّة حافظةٍ.

وإذا نظرنا إلى خِطابِ الائتلاف الذُّكوريّ، والذّكوريّ- النّسويِّ؛ فسنجدُهُ متكافئًا، تاريخًا وكمًّا؛ فكما رأينا من إجبال زُهيرٍ واستجازته ولدَه كَعبًا، وتعسُّفه معه ليختبر شاعريّته، وقُدرته على القول[٢٠] نرى روايةً مُكافئةً لها في الخطاب الذّكوريّ- النّسويّ؛ فزُهير؛ كما هو معلوم، من الأُسر المُعرقة في الشِّعر؛ فابنتهُ الخنساءُ شاعرةٌ، وله أُخرى اسمُها سُلْمَى، ولهُ أختٌ شاعرةٌ بالاسم نفسهِ، وبها لُقِّبَ أبُوهُ بأبي سُلْمَى،[٢١] وله ابنةٌ ثالثةٌ شاعرةٌ؛ اسمها (وَبرة)، هي التي استجازها زهيرٌ عندما قال:

أَرَادَتْ جَوازًا بالرُّسَيْسِ فَصَدَّهَا رِجَالٌ قُعُودٌ في الدُّجَى بالمَعَابِلِ
كَأنَّ مُدَهْدَى حَنْظَلٍ حيثُ سَوَّفَتْ بأَعْطَانِهَا مِنْ جَرِّهَا بالجَحَافِلِ

ثمَّ أجبلَ؛ فسألَ مَن حولَه إجازتَه؛ فانبرتْ ابنتهُ وَبرةُ قائلةً: أنا أُجيزه، يا أبتاهُ، وأنشدتْ:

---

١٦ – يُرَاجَعُ، الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٤م، ١٧/٥٨-٥٩.

١٧ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ ، ١٧/١٤٥.

١٨ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ٨/٤٣١.

19 – ديوان أبي النّجم العِجْليّ، تحقيق: مُحَمَّد أديب، دِمَشْق، مطبوعات مجمَع اللُّغة العَرَبيّة، ٢٠٠٦م، ١٦١-١٦٢.

٢٠ – يُرَاجَعُ، الأغاني، ٦/٥٩.

٢١ – المذاكرة في ألقاب الشعراء، الإربلي (أبو المجد أسعد بن إبراهيم ت ٦٥٧هـ)، تحقيق: شاكر عاشور، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م، ٥٥-٥٨.

جَدُودٌ فَلَتْ بالصَّيْفِ عَنْها جِحَاشُهَا فَقَدْ غَرَزَتْ أَطْباؤُهَا كالمَكَاحِلِ.[٢٢]

وغالب الظّنّ، عندي، أنَّ أخاها كَعبًا قد أَخذَ، من لفظِ بيتِها ومعناهُ، قولَهُ:

وَنازِحَـــةٍ بِـــالقَيظِ عَنْهَـــا جِحَاشُـــهَا وَقَـدْ قَلَصَـتْ أَطْبَاؤُهـا كَالمَكَاحِـلِ

ولبيتهِ رِوَايةٌ أُخرى أورَدَها السُّكّريُّ في شَرحهِ تُعضِّدُ ما ذَهبتُ إليه.[٢٣]

وقد أَجْبَلَ حسَّانُ بن ثابت؛ أحد فحول الجاهليَّة والإسلام المشهود لهم بالسَّبق والتَّفرُّد ذات ليلةٍ، أَرقَ فيها بعدَ بيتِهِ :

متَارِيـــكُ أَذْنَـــابِ الأمُـــورِ إذَا اعتَـــرَتْ أَخَـــذْنَا الفُـــرُوعَ، وَاجتَثَثْنَـــا أُصُـــولَها

وأجبل بعدهُ؛ فعرضت ابنتُهُ ليلى إجازته؛ فاندهش لذلك، ولكنَّه استجاب لعرضها إغاثته، وبلغت استجابتهُ أن لبَّى طلبَها في إعادة ما قاله؛ فلمَّا سمعتهُ أجازتْه لتوِّها:

مَقَاوِيـــلُ لِلمَعـــرُوف خُـــرْسٌ عَـــنِ الخَنَـــا كِـــرَامٌ يُعَـــاطُونَ العَشِـــيرَةَ سُـــؤْلَها

فَحَفِزَ حسّان وَحَمَت قرِيحتُه، وتستمرُّ الإجازة بينه وبين ابنتهِ؛ هو يقول وهي تُكمل ما رمَى إليه من مَعانٍ؛ حتّى يصل إلى نَشوةٍ لا تعادلها نشوةٌ لميلاد شعريّة ابنته؛ فيتوجّه بالمعنى إلى الثّناء على عبقريّتها التي هبَطتْ من السَّماء في تلك اللَّيلة المشهودة، معبِّرا عن تلك المعاني المُتزاحِمَةِ:

وَقَافِيَـــةٍ مِثْـــلِ السِّـــنَانِ رَدَفْتُهَـــا تَنَاوَلْـــتُ مِـــنْ جَـــوِّ السَّـــمَاءِ نُزُولَهَـــا

وتشعر ليلى بهذه النَّشوة من أبيها؛ فتُجيزهُ مفتخرةً بما وصلتْ إليه من شَهادةِ الأب الشّاعر:

يَرَاهَـــا الّـــذِي لَا يُنْطَـــقُ الشِّـــعْرُ عِنـــدَهُ وَيَعْجَـــزُ عَـــنْ أَمثالِهـــا أنْ يقُولَهـــا.

ج

ولكنّها تُفَاجَأ بإعلان أبيها العَجزَ تارةً أُخرى أمام شاعريّتها عجزًا دفعهُ أن يَعِدَها ألَّا يقولَ شِعرًا مادامت حيَّةً؛ فأمَّنَتْهُ هي مُضَحيّة بشاعريّتها، واعدةً إيَّاهُ ألّا تقولَ هي الشِّعرَ مادامَ حيًّا[٢٤]؛ هكذا

---

٢٢ – الجَدُودٌ: التي قلّ لبنُها، جِحَاشُهَا: أولادُها، غَرَزَتْ: قلّ لبنُهَا، أَطْباؤُهَا: جمع طبي– بالكسر والضَّم– حلمات الضّرع. – يُراجَعُ، شرح ديوان زهير، صنعة أبي العباس ثعلب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٤م، ٣٤٥.

٢٣ – ويروى الصَّدرُ:(يُطَرِّدُ عَنْها بالمَصِيْفِ جِحَاشَهُ)، قَلَصَتْ: ارتفعت وغَرَزَتْ، النازِحَةِ: الأتان؛ يعني أن جحاشها بعدت عنها. – شرح ديوان كعب، صنعة السُّكريّ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ٢٠٠٢م، ٩٨.

نشأ هذا الخطاب، ونشط في سياقٍ من التّماهي الشّعريّ؛ أدّى إلى ائتلافه إحساسًا ولُغةً وإيقاعًا وتصويرًا؛ كما سيتضح أكثر فيما يأتي.

١/١- صيرورة الخطاب ومحاولة كسر النُّموذج الأبويّ/ الذّكوريّ:

من الرّوايات التي تشِي باتِّساع دائرةِ هذا الخِطابِ رِوايةٌ عن الأصمعيِّ، يَتصدّرُ خطابها الحكائيَّ الشَّاعرُ الجاهليُّ المعروف المُحيّا الهَمدانيُّ، الذي رزقَه الله ثلاثَ بناتٍ اتَّصفنَ بالكمال والعقل والأدب، يُدعينَ ظمياءَ، وريَّا، وَوَسْنَى على التَّرتيب، وقد جلس بينهنّ في روضة ربيعيَّة، فرأى سربَ ظِباء؛ فقال:

فَكَـــأنَّهُنَّ وَقَـــدْ ترجَّلـــتِ الضُّـــحَى ودَعٌ تكبَّـــــدَ صَحْصَـــــحَانًا أفيَحَـــــا

ثمَّ قال: أجيزي يا ظَمياءُ؛ فأَجَازتْهُ على الفَورِ:

أَكَـــذَاكَ أَوْ كَحَجَـــا غَـــدِيرٍ مُفْعَـــمٍ رِيحَـــتْ جَوَانبُـــهُ فَـــرَاحَ مُسَـــيَّحَا

ثمَّ طلبَ إجازة ريّا فأجازتْ؛ وأكملتِ الصُّورة ، كأنَّهما يَصدرانِ عن بَديهةٍ وقريحةٍ واحدة؛ حتّى وصل إلى وَسْنَى، وطلب منها الإجازةَ؛ فقالت:

لَا، بَـــلْ نُوَاصِـــلُ مِـــنْ وِشَـــاحِ خَرِيـــدَةٍ خَانَـــتْ مَعَاقِـــدُ نَظْمِـــهِ المُتَوَشِّـــحَا

---

٢٤ – يُرَاجَعُ، الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري(أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٢م، ٣٠٧/١، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ)،القاهرة، دار نهضة مصر،(د.ت)، ٧٢

فشهِدَ لهنَّ جميعًا بالإحسانِ والإجادة، حتّى تعجّب الأصمعيُّ، وتساءَلَ: لو كانت للمُحيّا بنتٌ رابعةٌ، ما عساها أن تقولَ؟! [٢٥]

وظلّت هذه الرّوح الأبويّة ترعى خطاب الائتلاف والاعتراف بشاعريّة الابنة، وتشجيعها بالشّهادة لها بتفوُّق شاعريّتها على الأب الشّاعر في اطِّراد إلى ما بعد القرن الخامس الهجريِّ، وانتقلت من المشرق للأندلس[٢٦]، ومن القصيدة إلى الموشَّح. [٢٧]

ويمكنُ أن نوافقَ مَن يرى أنَّ المبدعة العربيَّة تحتاجُ إلى صوتٍ ذُكوريٍّ يُجيزها، وأن المُقدِّمات التي يَكتبها كبارُ النُّقَّادِ والشُّعراءِ، مع ما فيها من مُجاملةٍ، هي شهاداتُ ميلاد للشَّاعرات المعاصراتِ؛[٢٨] وعليه تكون شهادةُ الشّاعر /الأب في خطابِها القديم بمثابة المُقدِّمة التي تكتبُ لها، وقد لا تخلو من مُجاملةٍ؛ لتعلنَ للنَّاس ميلادَ شاعرةٍ في مجتمع، يهيمنُ عليه الذُّكور في الأسواق والمنتديات، ولكِنَّنا لَن نذهب في هذا الاتِّفاق بعيدًا، وخاصة مع مَن يَرون أنَّ المرأةَ نفسَها رضيتْ هذا الاستلابَ، وصارت تفكِّر بصوتِ الذَّكر، وضميرِهِ، ولغتِهِ، وخيالِهِ، أو على حدِّ تعبير خالدة سعيد" المرأة كائنٌ بغيرِهِ، لا بذاتِه[٢٩]، أو بدعوَى من يَرون اللُّغة تحوي في باطنها كائنًا فحلًا، مستشهدين بآراء كارل يونج عن الأنيموس(animus) بوصفه مركب الذُّكورة في الأنوثة؛ هذا المفهوم الذي شكَّل رؤية النّاقدة كلاريسا استيز(Estes)، التي تتلخَّصُ في أنّ المرأةَ في حاجة إلى رجلٍ ليفجِّر كوامنها الدَّاخليّة عاطفيًّا وإبداعيًّا، فالضَّمائر امتلكها الذّكر وهيمَن عليها [٣٠]؛ فكان لزامًا عليها المقاومة وتحقيق الهويّة، وهو ما يسمّيه مصطفى سُلوي انبثاقَ النُّموذج؛ أي ضرورة اختبار قدراتها على التَّواصُل بلُغة أُنثويَّةٍ مع الآخر الذَّكر[٣١]

.

وإذا تأمّلنا الخِطابَ المُضمرَ في النّموذج السَّابق للمُحيّا وبناتِه لاحظنا دورانَ ظمياءَ الكُبرى في فلَك صُورةِ أبيها، الذي شبّه سِربَ الظِّباء في الرَّوضة بالخَرز الأبيض المُنتشر فوق روضةٍ

---

٢٥ – يُرَاجَعُ، حماسة الخالديين، أبو بكر محمد ت ٣٨٠هـ ، وأبو عثمان سعيد ت ٣٧١هـ،القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥ م،١٨٧/٢–١٨٨، وشعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حسن أبو ياسين، الرياض، دار العلوم للطباعة ،١٩٨٣م،٣٠٥/١.

٢٦ – يُرَاجَعُ، المنتقى من المجاراة والمجازاة، الصفدي(صلاح الدين بن أيبك ت٧٦٤هـ)، انتقاء: شرف الدين محمد الزرعي(ت ٧٧٩هـ)، تحقيق: أحمد رفيق الطحان، القاهرة، دار الكتب، ٢٠١٨م ،١٣٦–١٣٧.

٢٧ – يُرَاجَعُ، نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطيّ(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد معبدي، القاهرة، مطبعة الأمانة،١٩٨٣م ١٢٨،ونَفْح الطّيبِ من غُصْن الأندلُسِ الرَّطيبِ، المقَّري(أحمَد بن مُحَمَّدٍ ت١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، بَيْرُوت، دَار صَادِر،١٩٨٨م ،٥٣٠/٣.

٢٨ – يُرَاجَعُ،قصيدة المرأة في السعودية(مقاربات تطبيقية)،راشد عيسى، بيروت،الانتشار العربي، ٢٠١٠م، ٢٥.

٢٩ – المرأة– التحرر– الإبداع، خالدة سعيد، الدار البيضاء، نشر الفنك،١٩٩١م،٦٧.

٣٠ – يُرَاجَعُ، المرأة واللغة، عبدالله الغذامي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢ ،١٩٩٧ م،٢٠–٢٣.

٣١ – يُرَاجَعُ، فعل الكتابة بصيغة المؤنث من خصوصية التخطي إلى انبثاق النموذج، مصطفى سُلوي، جامعة محمد الأول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عدد٢ ،٢٠١١م،٥٠.

فيحاءَ، واعتمدتْ صورتهُ أوَّلًا بقولها:(كذا)، ثم دارت في فلَكِه، وغزلَت من نَسيجِه؛ فشبَّهت سربَ الظِّباء بماءٍ فاضَ على جانبي غَديرٍ مترع بالماء جاءَته ريحٌ؛ ففاضتْ على جانبيه الأمواجُ فجأة، وهي صورةٌ مكافئةٌ لصورة الأب تقريبًا، وإن حاولت تخطِّي النّموذج الأبويّ الذّكوريّ التّقليديّ المألوفِ، الذي يصوِّر أمواج البحر وهي تقذفُ بالصَّدفِ؛ فتجاوزتْه إلى صورة الغدير المتدفِّق؛ لأنَّها أقربُ لطبيعة الإناث، وعالمهنَّ الخاصّ المتَّصل بالغدير آنئذٍ، بعيدًا عن الصُّورة التّقليديَّة التي بدأها الأبُ، ونسمع فيها أمواج البحر، في حين سمعنا عندها حركة ماء الغدير رقراقة.

وأضاع النُّسَّاخُ بمِدادهم الأحمر بيتَ ريَّا الذي قد يتَّفِق مع النُّموذج الأبويِّ، أو يتجاوزه أيضًا، ولكنَّهم تركُوا لنا بيتَ وَسْنَى الصُّغرى، التي بدأت بتمرُّد نسويّ على النموذج الذُّكوريّ (البَحر) وبدأت معترضةً من البداية بإيجازٍ وتكثيفٍ؛ بقولِها: (لا) وهو رَفضٌ للنُّموذجِ الذّكُوريّ، وهدمٌ له لبناء نمُوذج آخر خاصّ بعالمهنّ؛ فشبّهت سربَ الظِّباء بسطُور الخَرز على وشاح عذراء فاتنة، انفرطت فجأةً بعدما خانَه النَّظم، ولاشكَّ أنَّنا نسمع في هذه الصُّورة صوتَها هي، بما يحمله من خصوصيَّة التّشكيل النّسويِّ.

ويلفتنا هذا النُّموذجُ إلى أنَّ ما يُشاع على أنَّه حقائقُ ومسلَّماتٌ من كونِ النّساء ضحيّةَ الثَّقافة الأبويَّة التي وأدتْها عاطفيًّا وإنسانيًّا قبل أن تئدَها جسَديًّا[٣٢] تعميمٌ غير علميّ، تدحضُهُ نتائج الدِّراسات الحديثة، التي انتهت إلى أنّ المعوّل في ذلك ليس التَّكوين البيولوجيّ، وإنّما مقدار الحُريّة الثّقافيّة والاجتماعيّة التي يمنحها المجتمع لهنَّ[٣٣] ؛ فكَما كانَ الوأدُ الجسديُّ مُحدَّدًا بحدُودِه ومؤطّرًا بأُطره؛ كان الوأدُ الثَّقافيُّ أيضًا.

ونمضي إلى بني أُميَّة فنقرأ نماذج متعدّدة لخطاب الائتلافِ؛ منه خطابٌ يحكي اجتماع الشُّعراء ببابِ الخليفة سُليمان بن عبدالملك، على عاداتهم حينئذٍ؛ فيخرج إليهم مُصطفيًا أهلَ نواله بشطرِ بيتٍ؛ هو: يَروحُ إذَا رَاحُوا ويَغْدو إذَا غَدُوا

طالبًا منهم إجازتهُ؛ فيجبلون جميعًا؛ فيتركهم ببابهِ، ويدخل إلى جارية لهُ، ويطلبُ منها إجازتَهُ؛ فتجيبُه على الفور: وعَمَّا قليلٍ لا يَرُوحُ ولا يَغْدُو [٣٤].

وبلغ من إحكامها أنْ حَكَم ابنُ دُريد على البيتِ بسببِ قوَّة نسيجهِ، وعمق معناهُ، بأنَّه من عُيون الشّعر المستحسنِ، والأمثال المنظومة الحِكميّة [٣٥]، وابنُ دُريد يحكم على البيت في اكتماله وائتلافه على أنه نسيج واحدٌ منسجم؛ أي إنّه، وفق هذه الدّراسة، خطاب ائتلافٍ.

ولم يقتصر هذا الخطاب على الجواري، كما يُكرّر بعض الباحثين[٣٦]، وسيتوقّف البحثُ عند المقصود بالجواري في هذه السّياقات لاحقًا، كما لم يقف عند المباراة الوديّة التي يتنافس فيها

---

٣٢ – يُرَاجَعُ، النّظام الأبويّ وإشكاليّة الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدريّ، بيروت، دار السّاقي ،٢٠٠٣م، ٢ .

٣٣ – يُرَاجَعُ، سيكولوجية المرأة، ناهد رمزي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م، ٦٣.

٣٤ – يُرَاجَعُ، الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد، ابن أيدمر(محمد بن أيدمرت ٧١٠هـ)، تحقيق: كامل الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠١٥م ٣٣٧/١١.

٣٥ –يُرَاجَعُ، المجتنى، ابن دريد(ت ٣٢١هـ)،حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م، ٥٧.

٣٦ – يُرَاجَعُ، كتابة الذات(قراءة في خطاب الهوية: دراسة نقدية)،سوسن ناجي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٧م،٧٥، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف، فاطمة كدو، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٤م، ٨٤.

الشُّعراء من أجل نوالٍ زائل، بل نجدُ منه ما تتعرّض فيه بعضُهنَّ للقتل من جرّاءِ خطابهنَّ المتقن الذي يدفعهنَّ إليه شعريّتهنَّ المتدفِّقة الملحّة؛ كما مرّ بنا في الرِّواية التي جمعت الشَّاعر الأمويَّ عقيل بن عُلَّفَة(ت ١٠٠هـ) وأولاده حين قال لهم بيتًا طالبًا إجازتَه، فأجبلَ أولادُهُ الذُّكورُ جميعًا، وأجازتهُ ابنتُه جَرباءُ؛ فَهَمَّ بقتلها لمَا ورد في خطابها من صورة صادقةٍ لفعل الخَمر بشاربها[٣٧].

وفي هذا الروايات دليلٌ واضح على مشاركة المرأة المبكّرة في خطاب الائتلافِ منذ نشأته، خلافًا لمن يدَّعون أنَّه وليدُ العصر العباسيّ بسبب القيان[٣٨] وخلافًا أيضًا لمن حصره على الشّاعرات الأندلسيّاتِ بفضل الحريَّة التي تمتَّعنَ بها[٣٩]. ولا يمكن أن ننكرَ نشاط هذا الخطاب في العهدين العبّاسي والأندلسيِّ للأسباب التي ذكرها الباحثون، ولكنَّ الخلاف معهم خلافُ وجودٍ، لا خلاف نشاط؛ فقد نشطت الإجازة في العصر العباسيّ حتى وجدنا العبّاس بن الأحنف يستجِيز الذّلفاء فلمَّا أجازتْه، بلغ من إعجابِه بإجازتِها أنْ أقسم عليها أن تترك له إجازتها، وإلَّا فلن يدخلَ لهم بيتًا، وضمَه إلى شعره المُجاز[٤٠]، ولم تكن هذه روايةً عابرة للعبّاس مع شاعرة، بل ضمّ إلى شعره شعر غيرها من مجيزاته.[٤١] وتكرّرَ هذا التّداخل عندهُ، وعند غيره من الشّعراء [٤٢]، وقد بلغتْ الذَّلفاء شأوًا عظيمًا بسبب إجادَتها في ذلك[٤٣].

ولم تكن الذَّلفاء وحدها من بلغت هذا المبلغ، بل ثمة شاعراتٌ فوق الحصر، ومن اللَّافت أنَّنا نجد خطابهنّ ينتصر عادةً على الخطاب الذُّكوريِّ، لا يُستثنى من ذلك مشاهيرُ الشُّعراء[٤٤].

ويشي الخطاب في بعض الرّوايات بالعصف الذّهنيِّ الذي يمارسه الشّاعر ليجيد خطابه؛ فيأتي خطابها المكمّل على البديهة في حينه؛ مما يحفّز الحكم لأن يشهد لها بأنَّها أشعر الإنس والجنِّ.[٤٥]

---

٣٧ – يُرَاجَعُ، العقد الفريد، ابن عبد ربه (أبو عمر، شهاب الدين أحمد ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٩٨٣م.، ٦٤/٢، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي (الحسن بن مسعود ت١١٠٢هـ)، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة،١٩٨١م، ٢٣٧/٣.

٣٨ – يُرَاجَعُ، مقدمة محقق نزهة الجلساء في أشعار النساء، ١٥٠–١٥١.

٣٩ – يُرَاجَعُ، الإجازة في الشعر الأندلسي، وائل أبو صالح، مجلة جامعة بيت لحم، المجلد١٣، ١٩٩٤م، ١٤٢.

٤٠ – يُرَاجَعُ، الموشح، ٣٦٤.

٤١ –يُرَاجَعُ، الموشى، الوشّاء(محمد بن أحمد ت ٣٢٥هـ)،تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي،ط٢، ١٩٥٣ م،١٧٣، وزهر الآداب وثمر الألباب، الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، شرح : زكي مبارك، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد بيروت، دار الجيل، ط٤، ١٠١٧/٤، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٩م، ٦١٠/٢،المستظرف من أخبار الجواري، السّيوطيّ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد،١٩٩٣م، ٥٦، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري(ت ٧٣٣هـ)، القاهرة، دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٢م ،١ /١٨٣، وديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، القاهرة، دار الكتب المصرية،١٩٥٤ م،١٢٧ .

٤٢ – يُرَاجَعُ، الإماء الشّواعر،٣٤، وعقلاء المجانين، ابن حبيب(أبو القاسم الحسن بن محمد ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: عمر الأسعد، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٧م،٢٢٦، وفيه نجد خطابًا لشاعرة تدعى حسناء قد دخل في خطابه ونسب إليه. – يراجع في ذلك، المستظرف، ٢٠.

٤٣ – يُرَاجَعُ، المستظرف، ٢٧.

٤٤ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ٣٤–٤٤.

والجنِّ.[٤٥] ومع ما قد يعتري مثل هذه الشهاداتِ من مبالغة؛ فقد شهد النُّقَّاد بتفوقهنّ على شركائهنَّ الذّكُور في فهم خصائص هذا الخطابِ من ائتلافِ لفظهِ ومعناهُ ومصادِرِ صُورتِهِ، التي قد تغيب عن بعض الشُّعراءِ؛ مما يُفقد الخطابَ حينئذ الانسجامَ والتَّلاحم؛ فيأتي أجنبيًّا دخيلًا بتعبير الصّفديِّ[٤٦]؛ لافتقادهِ شرط الانسجام والالتئام، الذي يخيَّل معه أنَّ صاحبه واحدٌ؛ ولذا كان سؤال المُستجيز عادةً: مَن يُتمُّ كَما أُريدُ؟[٤٧] وقول المُجيز بعد إصابة إجازتِهِ: "عرَفتُ ما في نفسك؛ فأعربتُ عن ضميركَ"[٤٨] فالتّماهي في التَّفكير مع الآخر المُجاز شرطٌ أساسٌ في خطاب الائتلافِ في لحظةِ إبداعه،[٤٩] أو بتعبير القدماء: كأنّ مُبدعي هذا الخطاب "يقولانِ عن ضميرِ واحدٍ".[٥٠] أو بتعبيرِ شِعريٍّ لابن أبي عَتيقِ: كأنَّ شيطانَ الثَّاني ألمَّ بالأوّل،[٥١] أو شيطانهما واحد بتعبير الفرزدق[٥٢] ، حتَّى رأى بعضُهم إمَّا أن يتحقّقَ هذا الشّرطُ وإلا فليُترك.[٥٣]

فإن قيل: إنَّ خطاب الائتلاف الذُّكُوريّ- النّسويّ شاهدٌ على التّبعيّة لأنّ خطابهنَّ يأتي تابعًا ؛ قلتُ: إنَّ خطابهنّ قد يأتي أوّلا في شواهد أخرى كثيرة، ويأتي الشّقُّ الذُّكوريّ ليكمله، وقد تكمل إحداهُنّ لمثيلتها[٥٤]، ولكنّي استبعدتُ هذين النّموذجين، إجرائيًّا، كما استبعدت نماذج أخرى لخطاب الائتلاف؛ كالإجابات الشِّعريّة، والرّسائل، وحوارات العشّاق، والأزواج. وكلها تقع في دائرة الخطاب الذُكوريّ – النّسويّ، كما أنَّها بالغة الأهميّة في دلالاتها، خاصة الرَّسائل المتبادلة،

---

٤٥ – يُرَاجَعُ، الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: جليل العطية، بيروت، دار النضال،١٩٨٤ م،٣٠.

٤٦ – يُرَاجَعُ، المستظرف، ٤٥.

٤٧ – بدائع البدائه، علي بن ظافر(ت ٦١٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م،٤٤ .

٤٨ – العقد الفريد،١١٦/٨ .

٤٩ – يُرَاجَعُ، الفاضل، المبرد(محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، تحقيق:عبدالعزيز الميمني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٥م،١١، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المعافى بن زكريا ت ٣٩٠هـ، تحقيق: عبد الكريم الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٥ م،٧٢٧/١، الصناعتين، أبو هلال العسكريّ(الحسن بن بن سهل ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية،١٩٧١م،٢٢٠، تحرير التحبير ،٢٢٩–٣٣٠.

٥٠ – يُرَاجَعُ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي (أحمد بن علي ت٨٢١هـ)، القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٢م،٢٨٥/٢–٢٨٦.

٥١ – بدائع البدائه،٤٣ .

٥٢ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ ،٤٤.

٥٣ – المنتقى من المجاراة والمجازاة،٧٨ .

٥٤ – يُرَاجَعُ، الإماء الشواعر، ١٦٧، وبدائع البدائه،٦١، ١٠١، ونزهة الجلساء،١٣٨.

والحوار الشّعريّ بين الحبيبين، والزّوجين، وفي محيط الأسرة والمجتمع، وقد لقي بعضها عناية خاصّة[٥٥]، ولا يتّسع المقام لمعالجتها.

وربّما حميت إحداهنّ في هذا الخطاب الحواريّ؛ فتطيل نصّها، ويبلغ من إعجاب العارفين بصنعة الشّعر أن ينصحوا كبار الشّعراء بأخذه عنها، وحفظ أشعارها، وقد سجَّل الرّواة حفظ الأب والجد، وبعض الولاة، وذوي الرّأي لشعر بعضهنّ في خطاب الائتلاف [٥٦] وغيره[٥٧]، كما حفظته الرّاويات من النّساء ،وأخذه الرّواة عنهنّ حفظًا ورواية[٥٨]؛ هكذا يتبيّن التقدير المبكّر لخطابهنّ؛ فقد حكمت السيدة عائشة- رضي الله عنها- لمروان بن الحكم بالشّاعرية؛ لأنَّه ورثها عن أمِّه[٥٩]،وشهد معاوية لإحداهنّ بأنَّها أحسنت فيما يعجز عنه أمثال حسّان، وغيره من الفحول[٦٠].

الشِّعريَّة النِّسويّة في مُقابل الفُحولةِ الذُّكوريَّة:

١/٢- الهيمنة الذُّكوريَّة والفحولة للمنتصر:

حاول بعضُ الشُّعراءِ والنُّقَّاد والرُّواة أن يقرنوا الشِّعر بالفحولة، التي جاءت من عالم الإبل، مقصورةً على الذُّكور دون الإناث، بل ضدّها؛ فاتّفقت في دَلالتها مع ذكوريَّة الرَّجل وفُحولته؛ فهي هيمنةٌ وغلبةٌ في مقابل أنُوثةٍ يغلب عليها الضَّعفُ واللِّين [٦١]، ويلخِّص أبو النِّجم العِجليُّ هذه الفِكرة حين يحاجّ الشُّعراء في تفوُّقه عليهم بذكورة شيطانه في مقابل أنوثة شياطينهم:

إنّــي وَكُــلُّ شَــاعِرٍ مِــنَ البَشَــرْ شَـيطَانُهُ أنثَــى وَشَـيْطَانِي ذَكَـرْ[٦٢]

والغَريبُ أن نجد في بعض الخطاب النّسويّ ما يؤكّد هَذَا المفهُومَ؛ فنزهُون الغِرنَاطِيَّة تُعْلِنُ بالقافية ذاتها، ومن الدَّائرة العروضيّة نفسها، تَذْكيرَ شِعرِها ليَرْقَى عَلَى أُنُوثتِها، وَكَأنَّ الأُنُوثَةَ مُضَادَّةٌ للفُحُولَةِ الشِّعْرِيَّةِ. وربّما كان ذلك إعلانًا للتَّكافؤ، والقدرة على منازلة الخطاب الذّكوريّ؛ فهي تهاجِي مُعَاصِرًا لَها:

---

٥٥ – يراجع، الشِّعْر النِّسائيُّ في أدبنا القديم، مي يوسف خليف، القَاهِرَةُ، مكتبة غريب، ١٩٩١م، ٤١-٤٣.

٥٦ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ٥٣، ونزهة الجلساء،٧٧.

٥٧ – يُرَاجَعُ، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، الضّبّي(العبّاس بن بكّار ت ٢٢٢هـ)، تحقيق: سكينة الشّهابيّ، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٣م،٧٢-٧٧.

٥٨ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ٤٤.

٥٩ – يُرَاجَعُ، تعليق من أمالي ابن دريد،(أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ)،تحقيق: السيد السنوسي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة،١٩٨٤ م،١٦٦، وبدائع البدائه،١٣٢.

٦٠ – يُرَاجَعُ، السَّابقُ، ٤٦.

٦١ – يُرَاجَعُ، أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي العربي، عاصم أمين، جامعة السلطان قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد ٣، عدد ٢٤، ٢٠١٦م، ٤٥٣.

٦٢ – ديوانه،١٦١-١٦٢.

إن كُنْـــتُ فـــي الخَلْـــقِ أُنْثَـــى فَـــإنّ شِـــعْرِي مُـــذَكّر[٦٣]

ولمَّا شَعرَ بِغَلبتِها إيَّاهُ شعريًّا تَعمَّدَ اقتِحَامَ أُنوثَتِها مُدِلًّا بفُحُولَتِهِ الذُّكُورِيَّة[٦٤]. وتتكرّر هذه النَّظرة عند غيره من الشّعراء؛ كالأخطل[٦٥]، ومروان بن أبي الجنوب، وعليّ بن الجَهم[٦٦] ، وقد يسندهم في ذلك آراء بعض الرُّواة والعلماء والنُّقَّاد[٦٧]؛بما يحصرُ الشَّاعِرَةَ، آنئذٍ، بَينَ فُحُولتينِ: إحدَاهُما شعريّةٌ مَزعُومَةٌ تَحْتَاجُ الدَّليلَ، والثَّانيَّةُ تَفَوُّقٌ نَوْعِيٌّ يَلْجَأُ إليهِ إذَا شَعرَ بعَدَمِ اكْتِمالِ فُحُولَتِهِ الأُولى؛ فَهَلْ تَستَطِيعُ الشّاعرة العربيَّة أَن تُثبتَ ذَاتَها في مُواجَهَةِ الفُحُولَةِ الشّعريّة؟ وهَل يُمْكِنُهَا أن تَتَسلَّحَ بفُحُولَةٍ مُكْتَسبَةٍ في مُوَاجَهَةِ فُحُولَتينِ ؟

لعلَّ في خطاب الائتلافِ إجابةً واضحةً على هذا التّساؤلِ، ووقوفًا على مدى تمكّن خطابها الشّعريّ من الائتلافِ مع خطاب الذَّكر/الفَحل، ومدى ثقتها بشعريّتها، وإيمانها بها .

٢/٢ـ الفحلُ المنهزمُ وتبادلُ الأدوار:

اختلف مفهومُ الفُحولة في التُّراثِ على مَعانٍ كثيرة[٦٨]، ومِن ثَمَّ ارتبطَ بغلبة الآخرين، والتَّميُّز عليهم "كمزيَّةِ الفَحلِ على الحِقاقِ"[٦٩].

---

٦٣ – نَفْح الطّيبِ ، ١٩٢/١.

٦٤ – يُرَاجَعُ، السَّابِقُ، ١٩٣/١.

٦٥ – يُرَاجَعُ، العبَّاسيّ (عبد الرَّحيم بن أحمدَ ت ٩٦٣هـ)، معَاهِد التَّنصِيصِ في شَرح شوَاهد التَّلخِيصِ، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدِّين عَبد الحميد، بَيْرُوت، عالم الكُتُب، ١٩٤٧م، ٢٠٠/١.

٦٦ – يُرَاجَعُ، بدائع البدائه، ١٩٨.

٦٧ – يُرَاجَعُ، ابن حمدُون (مُحَمَّد بن الحسن ت٥٦٢هـ)، التَّذكرة الحمدونيَّة، تحقيق: إحسَان عبَّاس، وبكر عبَّاس، بَيْرُوت، دَار صَادِر، ١٩٩٦م، ١٧٥/٥.

٦٨ – يُرَاجَعُ، مفهوم فحولة الشعراء في تراثنا النقدي، عبدالله المعطاني، جامعة الملك عبدالعزيز، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد٣، ١٩٩٠م،١٩٧،مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة، وليد عثمان، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر– باتنة،٢٠٠٩م،٩ –١١، مفهوم الشعر عند ابن سلام الجمحي من خلال طبقاته(دراسة نسقية)، مصطفي بوخبزة، فاس، مؤسسة مقاربات للنشر، ٢٠١٨م،٢ /٢٠٩.

٦٩ – يُرَاجَعُ، فحولة الشعراء، الأصمعي(أبو سعيد عبد الملك بن قريب ت ٢١٦هـ)، تحقيق: ش. تورّي، قدم لها: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٠ م،٩،سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي، ورده عليه فحولة الشعراء، تحقيق: محمد أبو جري، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،١٩٩٤ م، ٣٠.

واللّافت أنّهم ربطُوا بين الفُحُولة وقَرع الإبلِ، ثمّ اعتزالها؛ بمعنى تحقُّق الفُحُولةِ بغلبةِ الأُنثَى[٧٠].وربّما انتقلت هذه الغلبةُ إلى إحساسِ الشُّعراءِ بغلبتهم النّساءِ، ولعلَّ الشَّاهدَ القويَّ في ذلك رَفضُ حسَّان حُكم النَّابغةِ على شِعره لمجرَّد أنّه فضَّل عليه الخَنساءَ، ورَفْضها أيضًا الحُكمَ؛ لأنَّه حصرَ فَضْلها على كُلِّ ذَاتِ مثانةٍ، فَرَدَّت غاضِبةً بأنَّها أَفضلُ، أيضًا، من كُلِّ ذِي خُصيَينِ؛ فما وجَد النَّابغةُ مفرًّا من أنْ يحكُمَ لها بأنَّها أشعرُ الإنسِ والجِنِّ[٧١].والمَوقفُ الذُّكُوريُّ الفُحُوليُّ واضِحٌ عندَ جَريرٍ؛ فحين سُئلَ عَن أشعَرِ النَّاسِ، أجابَ باستِعْلاءٍ: أنا لولا هذهِ العَاهِرَةُ! يُريدُ الخَنْسَاءَ؛ فهي شاعرةٌ، ولكن الأَنَا الأنثويَّةَ المُحتقرةَ عندهُ تَسبقُها[٧٢].

وبتتبُّعِ مواقِفِ الشُّعَرَاءِ نَلْحَظُ أنَّها تنُوسُ بينَ الاعتِرَافِ بالشِّعْرِيَّةِ النّسويّةِ، والتّحفُّظِ أو الانحرافِ عنها إلى الطّبيعةِ الأُنثَوِيَّةِ؛ كما نجدُ عندَ بشَّارِ بن بُردٍ(ت١٦٨هـ) الَّذي يتمثَّلُ موقِفُهُ من شِعر النِّسَاءِ مِن خِلَال حُكْمِهِ عَلى شِعرِ الخَنْسَاءِ؛ حين يُجملُهُ في قَولِهِ: "لم تَقُلْ امرأةٌ شِعرًا قطُّ إلا تبيَّن الضَّعفُ فيه، فقيل له: أو كذلك الخَنْسَاء! فقال: تلك كانَ لها أربعُ خُصَى"[٧٣].

ولا شَكَّ أنَّ في مثل هذا الحُكمِ وِصَايةً ذكُوريَّةً صَارِمةً؛ وسُلطةً مثَّلت حِصَارًا على حُريَّة الشَّاعرة أن تُبدعَ خطابًا تُعبِّرُ فيه عن ذَاتِها[٧٤]، وكأنَّ بشَّارًا لم يرَ في المرأةِ إلَّا مجرَّدَ موضُوعٍ شعريٍّ؛ أي مجرَّدَ مادَّةٍ يقومُ بإنتاج شَكلها وَفْقَ هَوَاهُ لا أن تَكُونَ مُنتِجَةً للخِطابِ[٧٥].

تجافي هذه النّظرة الذُّكوريّة الفحوليّة المشتركَ الإنسانيّ، الذي لا يُفرِّقُ بين ذَكَرٍ وأُنثى في إنتاجِ خِطَابِهِ العَامِّ، إذا ما فارقنا التَّنوُّعَ الجنسِيَّ الَّذي يَثرى به الخِطابُ ويكتمِلُ لا العَكس. وربَّما كان خِطابُ الائتلافِ أهمَّ الأنواعِ الأدبيَّةِ التي تؤكِّدُ قدرتهنّ على ذلك، بل على تجاوز الخطاب الذّكوريّ ، وإيقاعِ أصحاب هذه النّظرة المتعالية في حرج بين بنية ثّقافيّة متهافتة، وواقع إنسانيّ ينفيها؛ وهو ما كثّفه النّقّاد القدماء في حكمهم على خطاب الائتلافِ بتعليقهم الموجز: "فانقطعَ

---

٧٠ – يُرَاجَعُ، اللسان، وجمهرة اللغة،(فحل)، وبراجع أيضًا، مصطلح الفحولة في النقد العربي، محمد مريسي الحارثي، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية أسيوط، العدد٩ ،١٩٨٩م، ٧.

٧١ – الشعر والشعراء، ٣٢٣/١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي(عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤،١٩٩٧ م،١١٣/٨.

٧٢ – يُرَاجَعُ، شُروح سِقط الزَّند، أبو العَلاء المعرّيّ، تحقيق: مُصطفى السَّقا وآخرين، إشراف: طه حُسَين، القَاهِرَةُ، الهيئة المصريَّة العامَّة لِلْكِتَابِ، ١٩٨٦م، ١٤٢٥.

٧٣ – يُرَاجَعُ، الكامل في اللغة والأدب، المبرد(محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي،١٩٩٧ م،٣٠/٤.

٧٤ – يُرَاجَعُ، الوعي بالكِتابةِ، سوسن ناجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م،٦١.

٧٥ – يُرَاجَعُ، سادنات القمر(سرَّانيَّة النَّصِّ الشِّعْريِّ الأُنثوِيِّ)، محمَّد العبَّاس، بَيْرُوت، الانْتِشَار العَرَبيّ، ٢٠٠٣م، ٢٢، ويُرَاجَعُ، صُورَة الرَّجُل في القصص النِّسَائيّ، سوسن ناجي، القَاهِرَةُ، المجلسُ الأعلى للثَّقافَةِ، ٢٠٠٦م، ٣٥.

الرّجلُ"[٧٦]؛ وتشي سيميائيَّة الانقطاع بالخَجَلِ، الذي مردُّه انقطاع لسان الثّقافة الذّكوريّة/الفحوليّة في مواجهة الواقع الإنسانيِّ؛ ولذا فقد يصرّحون بدالِّ الخجل توكيدًا،[٧٧] وقد تنتهي رواياتهم خطابِ الائتلافِ بعد قولها[٧٨]؛ علامةً على سكوتِ الخطابِ الذّكوريّ وانقطاعهِ خجلًا.

ونلاحظُ مثلَ هذا التّكثيفِ النّقديِّ التّراثيِّ في الحكم على خطابِ الائتلافِ لصالح الخِطابِ النّسويِّ، أيضًا، من خلال ما يأتي في سيميائيّة الخبر السّرديّ؛مثل: "فَسبقتنيّ"، و"فبادرتني"، "فتوقّفتُ"...وما أشبه [٧٩].

إن تحقيق التّواصل وتحقُّقه في هذا الخطاب لا يقف عند حدود التّلقّي الفرديّ أو المحدود، بل هو تحقق لخطاب ثقافيّ تفاعليّ في الرَّصيد الجمعيّ الذي يضم نماذج هذا الخطاب، ويتمثّلها، ويشيعها؛ فتعبّر في النّهاية عن الذّهنية العامّة الجماعيّة التي تحتضنهُ، وتشيعه بينها، بداية من إنصاف الأب لابنته أو الشّيخ للأنثى الشّاعرة في الخيام، وصولًا لإنصاف الأمير أو الخليفة لها في القصور؛ فخطاب الائتلاف يمثّل صورة لافتة من صور التّكافؤ الثّقافيّ بين الخطابين.

١- خطاب الائتلاف بين الشَّفاهية والكتابيَّة:

يرى بعضُ الباحثين أنَّه خطابٌ شفاهيٌّ خالصُ الشّفاهيّة [٨٠]؛ لما يقتضيه من المُواجهةَ والمُجالسَةِ في حين تحفظ لنا كتب التُّراثِ نماذج عدَّة كتابيّة، ولعلّ ما حدا بهؤلاء الباحثين إلى مثل هذا الرَّأي هو ما يتّسم به من البديهة والارتجال.

والكتابة لا تنفي البديهة؛ فكما يكون بداهة يكون على الإمهال؛ فقد يستغرق المجيز وقتًا للتّأمُّل والتّدبُّر وإحكام صنعة الكلام[٨١]، وإن كان الوقت المستغرَق قليلًا فهو أطولُ نسبيًّا قياسًا بالإجازة الشّفويّة، وهو ما نلحظه في قول أحد المُجيزين "ثم أخذت الدَّواةَ فَكتبتُ..."[٨٢] فإن كانت (ثُمَّ) تفيدُ استغراقَ مدَّة زمنيَّة فإنّ تعليقه يؤكّد قصرها نِسبيًّا؛ فالمستجيزُ في الرّواية المذكورة لم

---

٧٦ – يُرَاجَعُ، مثلًا، الأغاني،٦٨/٢٣،والإماء الشّواعر، ٣٤، وبدائع البدائه،١٣٢، والمستظرف،٣٤، ٤٤.

٧٧ – يُرَاجَعُ، المحاسن والأضداد، الجاحظ، القاهرة، مكتبة الخانجي،١٣٢٤هـ،١٣١،وبدائع البدائه،٨٦.

٧٨ – يُرَاجَعُ، بدائع البدائه،٥٥، ٨٦.

٧٩ – السَّابِقُ،٥٥، و أخبار النّساء ،ابن قيم الجوزيّة ت ٧٥١هـ، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٢م، ١٣٨، والمستظرف،٧٠.

٨٠ – يُرَاجَعُ، البديهة والارتجال في التراث النقدي والشعري(دراسة نقدية)، عبدالحميد شعيب، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد٢٨، الجزء الرابع، ٢٠٠٩م، ٢٧٩.

٨١ – يُرَاجَعُ، البصائر والذخائر، التوحيدي(أبو حيان علي بن محمد ت ٤٠٠هـ)، تحقيق: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨م، ١٢٧/٥،ونزهة الجلساء،١٢٨، ونَفْح الطّيبِ،١٩٢/١.

٨٢ – السَّابق،٦١١/٣، وبدائع البدائه،٥٦.

يرضَ منه ما جَاءهُ بداهة [٨٣]، وثمَّة رواياتٌ تؤكِّد السّرعة النِّسبيَّة حين يُرسل المُستجيز بيتًا مع رسول، ويطلبُ من المُجيز أن يكتب إجازته فورًا؛ فيعود الرَّسولُ بها في حينهِ[٨٤]، أو يكتب الأول فيكتب الثاني تحته مباشرة[٨٥]، أو يأخذ المجيزُ القلم والدّواة، ويكتب في المجلس نفسه[٨٦].

وربَّما كانت الكتابة نقشًا على الحائط أو الجدارِ، أو على ساق شجرة من الأشجار، بمداد الأحبار أو بالأحجار، أو ثمرة من الثمار؛ كالاستجازة على تفَّاحة، والإجازة على مثلها[٨٧] أو في الرُّقعة نفسها، يشترك في ذلك الذُّكور والنِّساء على السَّواء[٨٨] ويصرّح أبو الفرج الأصفهاني في مدونته الكبرى بقراءته نماذج من هذا الخطاب مكتوبًا في الكتب التي كان ينقل منها [٨٩]؛ ولذا لا أتفق مع من رأى الحَكيَ أُنثى والكتابة ذكَرًا، وأنّه سيّد الكتابة مطلقًا، مستدِلًا على دعواه بأنَّ التَّاريخ لم يحفظ لنا أيّة أمثلةٍ لكتابةٍ نسويّة، بل سجّل التَّحذير من تعليمهنّ الكتابةَ، مشيرًا بذلك إلى كتابٍ مفقودٍ للنُّعمان الآلوسيِّ (ت1317ه) موسوم بـ" الإصابة في منع النِّساء من الكتابة" [٩٠] والحقيقة أنَّ مثل هذه النَّظرات يُعوزها الاستقراءُ الكامل، ولا أزعمُ أنَّ خطاب الائتلاف كافٍ للرَّدِّ على مثل هذه المزاعم، ولكنّه يُمثّل جزءًا مهمًّا من الخِطاب النّسويّ الواضح المعالم والسّمات وجودًا وتأثيرًا، ومشاركته الخطاب الذّكَوريِّ في سياقه العامّ.

ولا غروَ في ذلك؛ فالمرأة قد عرفتْ الكتابةَ منذُ الجاهليَّة، ويكفي أن نشير في لمحةٍ دالَّة إلى أمِّ المؤمنين حفصة بنت عمر- رضي الله عنهما، فقد علّمتها الكتابة الشّفاء بنت عبد اللَّه القُرشيّة، كما

---

٨٣ – يُرَاجَعُ، نَفْح الطّيبِ، ٦١١/٣.

٨٤ – يُرَاجَعُ، شرح ديوان المتنبي، للإفليلي (إبراهيم بن محمد بن زكريا)،تحقيق: مصطفى عليان، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٩٢م، ٢٢٨/٢.

٨٥ – يُرَاجَعُ، بدائع البدائه،٦٠.

٨٦ – يُرَاجَعُ، نفح الطّيب، ٦١١/٣.

٨٧ – يُرَاجَعُ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي(أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: كمال مرعي، بيروت، المكتبة العصرية ٢٠٠٥م، ٣٠٥/٣، وبدائع البدائه،٦٠ ،٦٦.

٨٨ – الإماء الشواعر،٤٠ ،٤١، ري الظما فيمن قال الشعر من الإما، ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الوصيفي، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م، ٨١، ٨٣، ٩٩، ١٠٣،وبدائع البدائه، ٣١ ، ٣٤، ٣٥، ٥٦، ٦٠، ٦٥، وتحفة الفكاهة في المنادمة والنزاهة، محمد أفندي سعد، القاهرة، المطبعة الشرفية،١٣٠٧هـ،٣٣ ، والفكاهة والايتناس في مجون أبي نواس، طبعه: منصور عبدالمتعال، وحسين شرف، القاهرة، ١٣١٦هـ،١٠.

٨٩ – يُرَاجَعُ، الأغاني،٤١١/٢٢، ٦٨/٢٣، و يُرَاجَعُ، أيضًا، بدائع البدائه،١٣٢.

٩٠ –يُرَاجَعُ، المرأة واللغة، ٩ ،٢٦

علَّمتْ غيرها[٩١]، وظلّ أمر الرّواية والتّدوين شائعًا بين النِّساء حتّى نهاية القرن الثَّامن الهجريِّ؛ فالإمامُ السُّبكيُّ يفخر بأنَّه تلقَّى العلم على بضعٍ وَثَمَانينَ امْرَأَةً [٩٢] ويروي عنهنّ، وينقل ممَّا كتبنَهُ من أشعارِ الغَزَلِ[٩٣]. وثمّة كاتباتٌ في الأندلسِ لهنَّ كتُبٌ عِلميّةٌ مؤثّرةٌ؛ منهنّ راضية(ت٤٢٣هـ) ربيبة عبدالرّحمن النَّاصر، التي نبغت في العلوم والسَّرد القصصيِّ حتّى لُقِّبت بالكوكب السَّعيد، ومثلها أمّ الهَنا التي تركت كُتبًا ضاعتْ فيما ضاع من تُراثنا[٩٤]؛ وعليه لم يكن من العسير أن نجد كتابًا يَردُّ على كتاب الآلوسيِّ، ويُفنِّدُ مزاعِمَهُ[٩٥] ، وخطابُ الائتلاف جزءٌ من هذا الخطاب النّسويّ الكتابيِّ، الذي قد يخفِّف من غلواء ما يردّدهُ بعضُ نقَّاد النِّسويّة وغيرهم.

فضلا عن أنَّ غلبة الشّفويّة على هذا الخطاب أدّت به أن يؤدّى في وسط جمهور، ينتمي إلى نسق عام له تكوينه النّفسيّ، والمعرفيّ، والذّوقيّ، والأخلاقيّ؛ مما يُكسب هذا الخطاب تداولًا أوسع، و تأثيرًا أقوى، واستنساخًا أسهل لإرضاء أفق انتظار هذا الجمهور.

٢- خطاب الائتلاف، وسياقاتهُ الثَّقافيَّة:

يلفتنا في سياقات خبَرِ خطاب الائتلاف بعضُ الملاحظات؛ منها:

١/٤- بنية الخطاب والنسق (الإطار الواحد المتعَدِّد):

أعني بالواحد المتعدِّد الأخبار المتعدِّدة التي تُروى في عُصورٍ مُختلِفة بإطارٍ حِكائيٍّ واحدٍ؛ فالحكايات تتعدَّد في هذا الخطاب في إطار حكائيّ واحد؛ يتّسم بما يأتي:

١/١/٤- إطار خطاب الائتلاف والاعتراف بالشّعريّة:

جاء إطار خطاب الائتلاف ثابتًا منذ الحكايات الجاهليّة الأُولى المبثوثة في كتُب التُّراث؛ فكما كانت إجازة وبرة بنت زهير دون إخوتها انتزاعًا لاعتراف أبيها بها شاعرةً، بل بتفوّقها عليه، جاءت حكاية حسّان بن ثابت وابنته؛ كما مرَّ بنا. ويتكرّر هذا الإطار الحكائيُّ في كلِّ عصرٍ

---

٩١ – يُرَاجَعُ، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ(أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤١٥ هـ، ٢٠١/٨.

٩٢ – يُرَاجَعُ، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي(تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر ،ط٢ ، ١٩٩٣م،٢١٦/٧.

٩٣ – يُرَاجَعُ، طبقات الشافعية الكبرى،١٧١/٣.

٩٤ – يُرَاجَعُ، موسوعة شهيرات النساء، خليل البدوي، عمان، دار أسامة للنشر،١٩٩٨م،١٢٠،وثقافة العصر الوسيط والخطابات الاجتماعية حول النساء، أميرة سنبل، ترجمة: أميمة أبو بكر، ضمن كتاب موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، ليدن– بوسطن، دار بريل،٢٠٠٣م،٧٤.

٩٥ – يُرَاجَعُ، الإصابة في استحباب تعليم النساء الكتابة، التميمي(محمد العسّافيّ ت١٣٩٤هـ)، تحقيق: إبراهيم بن عبد العزيز اليحيي، الرياض، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع،١٤٢٩ هـ،٥٧–١٠٣.

باختلافٍ يسيرٍ في التَّفاصيل داخل الإطار؛ بما يُمكِنُ أن أُسمِّيهِ الإطارَ الواحدَ المُتعدِّدِ، أو المّتعدِّد الواحد؛ كما مرّ بنا بين ميسون بنت إسماعيل وأبيها؛ فالشَّيخ يُجبل وتُنقذه ابنتُه؛ فيشهدُ لها بالتّفوُّق عليه،... وهكذا.

ويحسن أن نوضّح المقصود بالإطارَ الواحدَ المُتعدِّدِ، أو المّتعدِّد الواحد بنموذج من النّماذج؛ هو حكاية أبي دواد الإياديِّ؛ فممّا حكاه أبو الفرج الأصفهانيُّ أنَّ أبا دُواد اجتمع مع زَوجِه، وابنهِ، وابنتهِ، على رَبوةٍ، فخَطرَ لهُ أن يختبرهم في قول الشِّعر، وتمرّسِهم بالقافية؛ بوصفِها إحدَى ركائزِ الشِّعر الأساسيّة، ومرادفة للقصيدة؛ فأشار إلى ثَورٍ خارجٍ من أَجمَةٍ:

وَبـــــدَتْ لَـــــهُ أُذُنٌ تَوَجّـــــ ـــــسُ حُـــرّةً وَأَحَـــمُّ وَارِدْ
وَقَـــــوَائِمٌ عُـــــوجٌ لَهَـــــا مِـــن خَلْفِهَـــا زَمَـــعٌ زَوَائِـــدْ
كَمَقَاعِـــــدِ الرُّقَبَـــــاءِ للضْـــــ (م) ـــــضُرَبَاءِ أَيـــدِيهِمْ نَوَاهِـــدْ

ج

ثم قال: أنفذي يا أمّ دواد، فقالتِ الأبياتَ، وغيَّرتْ كلماتِ القافية؛ بما يتطلَّبهُ الإنفاذُ؛ فجعلتْها كالآتي: (مُولَقْ، مُعَلَّقْ، تَأَلَّقْ)، ثمّ قال: أنفِذْ يا دواد؛ فكرَّر الأبيات، وجعل كلمات القافية (مُرْهَفْ، مُلَفّفْ، تَلَقّفْ) وواضحٌ متابعته أبيه دون تفكيرٍ؛ فغيّر كلمة القافيةِ بحيث يحسُن المعنى الأصليُّ بلا تغيير جوهريٍّ. ولكن عندما طلبَ من ابنتِه دؤادةَ ، انتبهت إلى موضع الخطأ في أبيات أبيها/ النُّموذج المطلوب النّسج على مِنوالِه؛ فتساءلتْ: وما أقولُ معَ مَن أخطأ؟ قالوا: ومِن أينَ أخطأناه؟ قالتْ: جعلتُم له قرنًا واحدًا، وله قَرنانِ. قالوا: فقُولي؛ فقالت:

وَبـــــدَتْ لـــــهُ أُذُنٌ تَوَجّـــــ ـــــسُ حُـــــرّةً واحمتـــــانِ
وَقَـــــوَائِمٌ عُـــــوجٌ لَهَـــــا مِـــــن خَلْفِهَـــا زَمَـــعٌ ثَمَـــان
كَمَقَاعِـــــدِ الرُّقَبَـــــاءِ للضْـــــ (م) ـــــضُرَبَاءِ أَيـــــدِيهِمْ دَوَانْ[٩٦].

ومع ما فى تغييرِ كلمةِ القافيةِ من جُهدٍ ذهنيٍّ، وسرعةِ بديهةٍ، وإدراكٍ لتناسب المعنى والوزن والقافية؛ فإنَّ ذكاءَ دوادةَ، وفطنتها، وتأجُّج قريحتِها، وسَعة مُعجمها كانوا أسبابًا في تفوُّقها عليهم؛ فعدّلتْ من بناء الصّورة لما استشعرتْه فيها من خطأ.

ولأنّ الحكاية ذات ملامح محدَّدة في إطارها الثّابت كان من السّهل استبدال شخصيّة بأخرى. وكان من اليسير، أيضًا، على ابن حمدون أن يستبدل، في حكاية مماثلة، بِعَديِّ بنِ الرّقاعِ وابنته إبراهيمَ بنَ هَرْمَة وابنته، وتستقيم له الحكاية[٩٧]؛ وذلك لأنَّ الخبر يُحكى وفقَ مقاصدَ معيَّنةٍ، يرويها الرَّاوي يتوخَّى فيها موقعه وموقع المخاطبين ومقصديّة الخبر؛ فيُحافظ على إطاره العامّ، ثمّ يسهبُ، ويوجِز، ويُضيفُ، ويحذفُ وَفق السِّيَاقِ الثقافيِّ الملتبس بالخطابِ.

---

٩٦ – الأغاني، ٥٢٣/١٦، الديارات، الأصفهاني، تحقيق: خليل العطية، لندن، رياض الريس،١٩٩١م، ٩٨–٩٩، وديوان أبي دواد الإيادي، تحقيق: أنوار الصَّالحيّ، وأحمد السَّامرائيّ، دمشق، دار العصماء، ٢٠١٠م، ١٧.

٩٧ – التّذكرة الحمدونيّة، ٢٠٠/٧.

٢/١/٤: وحدة الإطار وبنية النّسق:

ساوى الإطار الحكائيُّ الموروث بين الرَّجل والمرأة من خلال خطاباته المتماثلة (كعب ووبرة ابني زهير– دواد ودوادة ابني أبي دواد- عبدالرحمن وليلى ابني حسان بن ثابت...إلخ)؛ وهو ما يشي أنَّ الأنساق الثّقافيّة سمحت بدرجة كبيرة من الحريّة للنّساء مشاركة الذّكور الخطاب الشّعريّ، بلسانهنَّ وفق هذه المواضعات مع الأب، أو الأخ، وأن يكنَّ فاعلات فيه، بدلًا من ترك الخطاب الذّكوريّ يتبنى خطابهنَّ مستعينا بقوله المراوغ: "قالت"، أو "كقولها"،[٩٨]وما أشبه ذلك، ومن العجيب أن يأتي الخطاب النّقدي ليستنتج خصائص لغتها من خلال لغته،[٩٩] التي قالها بالنّيابة عنها لإكمال خطابه؛ فيقع النّاقدُ في شَرَك المراوغة الذّكوريّة، وقعة تشبهها من النّاحية الأخرى من يقعون في شَرَك دعوى أنثوية الخطاب الذّكوريّ المهتم بقضايا المرأة[١٠٠].

ويرى بعضُ الباحثين أنَّ الخطابَ الذّكوريّ- النّسويَّ يَظلُّ حالةً استثنائيَّةً، يقصد بها الرُّواةُ المبالغة والإثارة والإدهاشَ للمتلقّين، ربّما لتعزيز القيم التي لا تتسرّبُ إلا بالخطابِ الشّعريِّ،[١٠١] وأرى أنّ حرص الرُّواة من مدوّني الخطاب الثّقافيّ العام دفعَهم دفعًا إلى هذا الإطار الواحد المُتعدّد لرسم صورةٍ ذهنيَّة قادرة على النَّفاذ إلى عقليَّة عربيَّة مُشعرنة؛ فالأفعال التي تقوم بها الشّخصيّاتُ في هذا الخطاب لن تثبت في الذّهنيّةِ العربيّة إلا من خلال قول شعريٍّ يستند إلى سياقات مصاحبةٍ، يستدعيها على سبيل الاستيجاب أو الاستحباب على أقلِّ تقدير؛ فانتصار الخنساء على دُريد بن الصِّمَّة، مثلًا، لم يرسَخ في الذّهنية إلا من خلال شِعرها، والرُّواة النّقّاد الذين يرسمون الشَّخصيات الأيقونيّة النُّموذجيّة أو السّلبيَّة لم يرسِّخوها إلَّا من خلال الخطابِ الشّعريّ،وهي خصيصة في الشّعوب، ولاسيّما العرب. ولَعلّ هذا ما جعلهم يحتفون بخطاب الائتلاف ذي القالبِ الواحدِ المتعدّدِ تعزيزًا لقيمة من القيم العليا؛ هي أن النّساء شقائق الرّجال؛ بما يفرضه الخطاب الإسلاميّ المؤطِّر لبنية الثّقافة في القرون الأولى، يرشّح لهذه الفكرة احتشاد هذا الخطاب في الكتب التي أفردها أولئك النّقّاد الرّواة للخطاب النّسويّ خاصّة، أو التي يغلب عليها خطابهنّ؛ أو خطاب الائتلاف عامةً.

٢/٤- خطاب الائتلاف لا التّهميش:

---

٩٨ – يُراجَعُ، تجليّات في الشعر الأمويّ(مقاربات نقديّة)، عزمي الصالحي، ونجود الحوامدة ،عمان، أمواج للنشر والتّوزيع،٢٠١٢م، ٢٥.

٩٩ – يُراجَعُ، السَّابقُ، ٥١– ٦١، وجدلية الذّات والآخر في الشّعر الأمويّ(دراسة نصيّة)، فاضل أحمد القاعود، عمان، دار غيداء للنشر والتّوزيع،٢٠١٢م،٣٠٦–٣٠٧.

١٠٠ – يُراجَعُ، الأنثوية في الأدب، النّظريّة والتطبيق، إبراهيم ملحم، عمان، عالم الكتاب الحديث،٢٠١٦م،٢٧.

١٠١ – يُراجَعُ، صورة الجاهلية(الجاهلية من التصور الأدبي والحقيقة التاريخية)، محمد زروق، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ٦.

يثير خطاب الائتلاف قضيّة أخرى تتَّصل بما سبق؛ هي دعوى تعمُّد الرُّواةِ إضاعةَ الخطاب النِّسويِّ، وتهميشه، وإقصاءَه، في مقابل حرصهم على تدوين الخطاب الذّكوريِّ؛ حتَّى تنتهي باحثةٌ إلى أنَّ باعث تهميش الرّواة والمؤرّخين للخطاب النّسويّ هو الحِقدُ على شِعريَّتهنَّ.[١٠٢] وانتهت دراسة أُخرى في تلقِّي النُّقَّاد القُدماء لخطابهنّ إلى دعوى اتّفاقِ المَصادِرِ القديمةِ في أمرينِ واضحين؛ أوّلهما: انعدامُ الدَّعم لشِعر المرأة عامَّة، وثانيهما: عدُّ شِعرها إبداعًا من الدَّرجة الثَّانية دائمًا، وأخذت الدِّراسةُ طريقها في الانتقاء الذي يشي بالتّمييز الدّائم للخطاب الذُّكوريّ في مقابل تهميش الخطاب الشِّعريِّ النِّسويِّ وتحقيره، وتمضي في انتقائيتها باختيار شهادات بعض الذّكور، وتتَّخِذ منها أدلة متواترةً لمعاداة الخطاب النّسويِّ ومحاولة تشويههِ، وممارسة الرُّواة والنّقّاد القُدماء نوعًا من الوأدِ المعنويِّ بحجبِ أسماء الشَّاعراتِ[١٠٣].

وأرى أنّ في خطاب الائتلاف ردًّا عقليًّا ونقليًّا على مثل هذه الآراءِ المُستنسخةِ، و**أختلف مع هذه الآراء لسببين؛ الأول:** كثرةُ الكتُب التي أُفردت للخطاب الشِّعريِّ النّسويِّ القديم،[١٠٤] ومعظمها يبرز خطاب الائتلاف، وبعضُها ضخمُ الحَجم، زاخر بأسماء الشَّواعرِ على مرّ العصور والبيئات العربيّةِ حتّى يقولَ السِّيوطيُّ في مقدِّمة أحد كتبه التي أفردها لخِطَابهنّ " إنَّهُنَّ لا يُحصَينَ كَثرةً، ولابن الطَّرَّاحِ كتابٌ في أخبارِ الشَّواعرِ العَربيّاتِ اللّائي وَصلنَ إلى أنْ يُستشهدَ بشِعرهنَّ، طالعهُ السُّيوطيُّ المتوفَّى(سنة٩١١هـ)في عدَّة مجلَّداتٍ، رأى منهُ المجلَّدَ السَّادسَ، ولم يكنِ الأخيرَ[١٠٥]؛ أي إنّهُ كان موجودًا إلى القرن العاشر الهجريِّ. وَلَا غَرْوَ فَثمّة رواياتٌ عن أبي تمَّامٍ تشي بتقديره البالغ للخِطاب الشّعريّ النّسويِّ، واعترَافهِ الصَّريحِ بِأُستَاذيّتهِنَّ لَهُ، وهو مَن هو؛ منه ما رُويَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ إِلَّا بَعدَ أَنْ حَفظَ سَبْعَةَ عَشرَ دِيوَانًا للنِّسَاءِ[١٠٦]، وهذا العددُ الوافر من الدّواوين هو ما وافق مزاجه، ونال إعجابه؛ ممَّا يشي بوفرة دواوينهنّ في العصر العبّاسيّ.

---

١٠٢ – المرأة في الشعر الأندلسي، سلمى سليمان، القاهرة، دار الثقافة الدينية، ٢٠١٤م، ٢٧٤، والأدب النسوي في الأندلس، محمد المنتصر الريسوني، المغرب، وزارة عموم الأوقاف، مجلة دعوة الحق، العددان ٩–١٠، ١٩٦٦م،١٢٦.

١٠٣ – يُراجَع، تلقي شعر المرأة في الخطاب النقدي، معجب العدواني، الجزائر، جامعة مولود معمري، مجلة الخطاب،العدد٢١ ،٢٠١٦م،١٣.

١٠٤ – جمع صلاح الدين المنجِّد عددًا كبيرًا من الكتب التي ألَّفها القدماءُ عن النّساء، والشَّواعر خاصة.
– يُراجَع، ما ألف عن النساء، صلاح المنجد، مقال بمجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد١٦، العددان ٥، ٦ ،١٩٤١م، ٢١٢ –٢١٩.

١٠٥ – يُراجَع، نزهة الجلساء في أشعار النساء، ٦٩–٧٠.

١٠٦ – يُراجَع، ابن الأثير (نصر الله بن محمد ضياء الدين ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ٣٦٥/٢، ٢٥٢/٣.

يؤكِّد ذلك ما رُوي عن أبي نُوَاسٍ(ت١٩٩هـ) حين افْتَخَرَ بأنَّه لم يقُلِ الشِّعْرَ حتَّى رَوَى دَوَاوِينَ سِتِّينَ شَاعِرةً [١٠٧]، وربّما دَلَّ هذا العدد الضّخمُ من دواوين النّساءِ في عصرهِ على مزاجٍ مختلف عن مزاج الطّائيّ، ولكنّهُ دالٌّ على أنّ دواوينهنّ كانت موفورةً ، جمعها الرّواة الأبرياءُ، المتّهمون من أصحاب النّقد النّسويِّ. والسّبب، كما أرى، هو ضياع جزءٍ كبيرٍ من تُراثنا الشّعريّ؛ بعضُه تضييعٌ ممنهجٌ، وبعضُه عبثيٌّ، بفعل الجهل والإهمالِ، في قرون بعينها خيّم عليها الحمق والظّلاميّة، وتحكُّم الأعاجم في قدر الثّقافة العربيّة وأصحابها، واتّخاذ بعضهم موقفًا سلبيًّا من الخطاب النّسويّ. يرشّح لهذه الفرضيّة ما ذكرناه ، وآية ذلك، أيضًا، الشّعر الحواريّ بين شعراء الغزل ومحبوباتهم[١٠٨].

وَمن يتصفَّح الكتب التي تحفل بهذا الخطاب التّفاعليّ(الذّكوريّ- النّسويّ)؛ ككتبِ الحُبّ العربيّة؛ مثل: "الزَّهْرَة"، لمحمد بنِ دَاوُدَ(ت ٢٩٦هـ) ثُمَّ فِي الكُتبِ الّتي تَلتهُ؛ كاعتلال القلوب في أخبار العشّاق والمحّبين للخرائطيِّ (محمّد بن سَهل ت٣٢٧هـ)، والمصون في سِرِّ الهَوى المكنون للحُصْريِّ القيروانيِّ(ت٤١٣هـ)، و"مَصَارِعُ العُشَّاق" لِلسّرَّاج(ت ٥٠٠ هـ)، وَ"مَنَازِل الأحبَابِ وَمنَازِه الألبَابِ" للشّهاب مَحمُود(ت٧٢٥هـ)، و"رَوضَة المُحِبِّين وَنُزهَة المُشْتَاقِين" لابنِ قيّمِ الجَوزِيَّةِ (ت٧٥١هـ)، والواضح المُبين في ذِكر مَن استُشهد مَن المحبّين للحافظ مُغلطَاي الحنفيّ (ت٧٦٢هـ) و"دِيوَان الصَّبَابَةِ" لِعفِيفٍ التِّلمِسَانِيِّ(ت ٧٧٦هـ)، وتزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق لداود بن عُمر الأنطاكيّ، ت١٠٠٨هـ) [١٠٩]، وغيرها يجد غزارةً للخطاب الذُّكوريّ- النِّسويّ، والعكس، فيما يخصُّ هذا البحث.

وتبدُو المرأةُ العربيَّة في هذا الخطاب مشاركةً فاعلةً في بنية النَّسقِ الثّقافيِّ، ومؤثرةً فيه من خلال خطابها الشِّعريّ الحواريّ التفاعليّ مع الخطاب الذّكوريّ، مرسلةً مجيبةً مجيدةً.

السَّببُ الثَّاني: هو ما يشِي به الإطارُ الحكائيُّ الذي وسمتُه بالواحد المتعدّد؛ إذ ينتهي بنهاية واحدة هي شهادة الأب بميلاد ابنته الشّاعرة، بل بتفوُّقها عليه؛ وقد امتد هذا الإطار الحكائيّ إلى الأندلس؛ فرأينا ميسون بنت إسماعيل بن نغرالة تتفوَّق على أبيها في خطاب الائتلاف؛ فيقسم بأغلظ الأيمان أنها أشعر منه[١١٠]؛ وهو ما يدفعنا إلى القول: إنّه لو كان ضياع هذا الشِّعر مقصودًا لغابت مثل تلك

---

١٠٧ – يراجع، طبقات الشُّعَرَاء، ابن المعتزّ(عبدالله بن المعتزت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبدالستّار فرّاج، القَاهِرَةُ، دار المعارف،١٩٧٦م،١٩٤، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري (جار الله ت٥٨٣ هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت، مؤسسة الأعلمي،١٤١٢ هـ، ٢١٠/٥،والمستطرف في كل فن مستطرف، الأبشيهي(شهاب الدين محمد بن أحمد ت ٨٥٢هـ) تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م، ٢٠٧/١.

١٠٨ – يراجع، الشِّعْر النِّسائيُّ في أدبنا القديم، ٣٦.

١٠٩ – يُراجَع، الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين، مغلطاي، تحقيق محمد أبو شوشة، رسالة دكتوراه، آداب طنطا، ٢٠٠٨م: ١٦٥/١ وما بعدها، ويراجع، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود الأنطاكي(ت ١٠٠٨هـ)، تحقيق: محمـــد التونجى، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٣م، ٦٢/٢ وما بعدها.

١١٠ – نزهة الجلساء، ١٢٨، ونَفْح الطّيبِ، ٧٣/٥.

الرِّوايات التي تحمل شهاداتٍ واضحة الدّلالة بتفوُّق الشّواعر على الفحول، بله الشّعراءَ في الخطاب الذُّكوريّ- النسويّ بشهادات الرّواة من الذّكور والإناث، والنّقّاد، وكبار الشّعراء وفحولهم، والخلفاء، والولاة، والأمراء.

وقد حظي خطابهنّ الحواريّ عامّة باحتفاء خاصٍّ في التّلقّي بين مختلف أنواع المتلقّين[١١١].

وأعتقد أن فيما سقتُهُ من أدلّةٍ ما يدحضُ، إلى حدٍّ كبير، ما تذهب إليه بعض الدّراسات من أنّ الخبر الحواريَّ، الذي طرفُه امرأةٌ في التُّراثِ، يُبرز سُلطة الرّجل، ويعزِّز فوقيّته وتفوُّقه، وما يبدو فيه من مكانة للمرأة يكون في مقامِ عفوِ الرّجل عنها استعلاءً بقدرته على العفو وامتلاكه زمام الأمر، واستبداده به[١١٢].

ونجد في خطاب الائتلاف كثيرًا من الرِّوايات التي تطلبُ فيها المرأة الإجازة من الذّكَر؟[١١٣] فهل تتحوّل السُّلطة حينئذٍ إلى المرأة بفرضيَّات تلك الدّراسات المتشابهة؟!

ويبقى أن نشيرَ إلى أنَّ هذه الرّواياتِ، لشَاعرات تفوَّقنَ على الشّعراءِ، تشي بملامح الخطاب الثقافيّ العام، الذي حرَص الرُّواة على تمريره في ثنايا خطاب الائتلافِ، بحمولاته الجماليّة والنّسقيّة التي أرادها الرّواة والنّقّاد المؤسِّسون للثّقافة العربيّة بأنساقها المُختلفة.

وتتّفق روايات الخطاب الذُّكوريِّ- النِّسويّ مع صور أُخرى من الخِطاب الشِّعريِّ النِّسويّ منذُ الجاهليّة في إعلاء شأنِ المرأة، ورسم صورة لها مُكافئةٍ للرُّجل حِكمةً ورُشدًا ودرايةً؛ [١١٤] فأظهرتها ذات كيان مؤثِّر في الأنساق الثّقافيّة السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة؛ منذُ خيام القبيلة إلى قصور الخلافةِ، ولم تكن موءودةً ثقافيًّا واجتماعيًّا، بل ظلَّ الوأدُ بكافّة صوره جريمةً محدودةً محدَّدةً.

انتقل هذا الإطار الحكائيُّ من جيلٍ إلى جيلٍ شأنهُ شأنُ النَّماذج الثّقافيّة التي تحمل رسائلَ خاصَّة بوضوح تَصويريٍّ، من خلال هالة السِّحر التي تحيط بالحكايات الأُولى، وتجعلُها ساريةً بإطارها العام قابلةً للإضافة بملْءِ الفَراغاتِ بتفاصيلَ جديدة، بتغيير زمنِ السَّرد أو الكتابة، وانتقالها عبر مراحل انتقالها من الشِّفويّة إلى الكتابيّة، أو تغيير النَّسقِ الثَّقافيِّ المتلبّس بها؛ فهي بطبيعة تأطيرها ظلّت قابلة للحذف والإضافة(المونتاج)، وظلّت المرأة في معظم تلك النَّماذج مَثَلًا لمحاولات تحقيق الذّات، والاستقلالِ عن سُلطة الرَّجل /الأب/الزَّعيم، والتَّحَرُّر من السُّلطة الأبويَّة البطريركيَّة بكلِّ

---

١١١ – يراجع، الشِّعْر النِّسائيُّ في أدبنا القديم، ٣٢.

١١٢ – يُراجَع، المرأة محاورة(قراءة في التراث)، وسميَّة المنصور، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٤، ع ٢، ٢٠٠٥م، ٧٦.

١١٣ – يُراجَع، أشعار النِّسَاء، المرْزُبَانِيّ (أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران ت ٣٨٤هـ)،تحقيق: سامي مَكِّيّ العاني، وهلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٥ م،٦٠، وبدائع البدائه،٦١.

١١٤ – يراجع، صورة الجاهلية، ٣٢٤–٣٢٥.

صُورها، كما ظهرت قادرةً على المغامرة بتطوّعها بالقولِ، ولو كلّفها حياتها أحيانًا- كما مرّ؛ ولذا لم تيأس من مواجهة خطاب ذكوريٍّ متفحّل واثقة من قدراتها الإبداعيّة على انتزاع شهادة التفُوّق منه.

وقد عكس خطاب الائتلاف مواقف المرأة من الحبّ، والزّواج، والطّلاق، وقضايا أسرتها، ومجتمعها، وقدرتها على إعلان ذلك ، من خلال نماذج أخرى شفويّة وكتابيّة من المراسلة والحوار الشّعريّ[١١٥].

هكذا تبدو النّساء في هذا الإطار فاعلاتٍ، بعيدًا عن الصّورة الذّهنيّة التي اختارها لهنَّ الذُّكُور في خطابهم المستقلّ، قادراتٍ على مُواجهةِ الحياة بالكلام لا الصَّمت، والإقناع بحَدسهنَّ المتجاوز، الخبير بمعرفة رغبات الرِّجال، وما يدورُ بخلَدهم، وما يرومون قوله بذكائهنَّ، بدليل إقرارهم بنجاعة خطابهنّ في خطاب الائتلاف، بل تصل إجادتهنّ إلى الإيهام بحدوث مصادر الصُّورة الخياليّة، كما يُبرزُ هذا الخطابُ دورَها الإيجابيَّ المساندِ للأبِ في مواجهة القبيلةِ، أو للزّعيم في مواجهة آخرين، يتخوّف من سقوط هيبته بينهم، واتّهامه بالعجز.

٣/٤ - الإطار الواحد المتشابه(الاستغاثة والإنقاذ) :

نأتي إلى الإطار الثاني الأساس في خطاب الائتلافِ؛ إطار الواحد المتشابه، الذي يأتي على النّحو الآتي: - ١- قال. ٢- أجبل أو أرتج عليه. ٣- طلب الإجازة. ٤-عجز الخطاب الذّكوريّ عن إجازته وإغاثته. ٥- إجازة امرأة على الفور، أو لساعتها، أو دون تفكير. ٦- المُكافأة والمُجازاة الماديّة أو المعنويَّة. وكثيرًا ما تأتي المكافأةُ عظيمةً؛ كالوزارة للشّاعر، أو الزّواج، وجزيل العَطايا للشَّاعرة[١١٦]. ولعلَّ الخُطوة الأخيرة هي التي قصدها الصَّفديُّ في كتابه الذي أفرده لخطابِ الائتلاف؛ الذّكوريّ، والذّكوريّ- النّسويّ، واتّخذَ منها عُنوانَهُ "المُجاراة والمُجازاة"، ولم يفطِن مُحقِّق الكتاب لذلك؛ فوَقع في ارتباكٍ شديدٍ، مردُّه أنَّه لم يرجع إلى المصادر الكثيرة التي توقفت عند هذا الخطابِ.[١١٧]

وممَّا يشي بتقبل وسم هذا الخطابِ بالائتلاف؛ نتيجة التَّماهي بين صاحبي الخِطاب، أنَّ الأشهر قد يستأذن الآخر في خطابه يضمِّنه شعره، وينسبه إلى نفسه؛ كما مرّ بنا.

ثانيًا- الخطاب المؤتلف المختلف(خطاب المُماتنة):

١- بنية الصّراع في خطاب المماتنة:

يتوقَّفُ المُظَفَّر العَلَويُّ(٥٨٤-٦٥٦هـ) عند باب مستقلٍّ، يُسمِّيه باب المُماتنة والإنفاد والإجازة،[١١٨] ولا نلحظ بينها عنده فرقًا واضحًا؛ فكلُّها حوار يقومُ على التَّنازُع والخِصام؛

---

١١٥ – يراجع، الشِّعْر النِّسائيُّ في أدبنا القديم، ٣٢-٤٣.

١١٦ – البصائر والذخائر، ١٢٧/٥، وأخبار النساء،١٣٨، وبدائع البدائه،٤٦، ونفح الطيب،٦١٣/٣ ،

١١٧ – يراجع، مقدمة محقق المنتقى من المجاراة والمجازاة، ١٦.

١١٨ – يُرَاجَعُ، نضرة الإغريض،١٩٤.

فالمماتنة تنازعٌ بين شاعرينِ يقول أحدهما، ويكمل الآخر، والإنفَادُ حِوارٌ شعريٌّ طويلٌ بين الشّاعرينِ المتباريينِ حتى تنفدَ حُجَّةُ أحدِهما، ثمَّ يعودُ ليُساويَ بين الإنفادِ والإجازة[١١٩]، ومن اللّافت أنَّه جعل الإنفاد بالدال غير المعجمة، في حين جعلها أبو الفرج بالذال المعجمة[١٢٠].

وأَرى أنّ المظفّر نسِي الإجازةَ، أو بالمخطوطِ سقطًا، أو فات المحقِّقةَ جُزءٌ يَسيرٌ من نصِّه يخصُّ الإجازة، وأرى أنّ خطاب الإجازة والتمليط والإنفاد أو الإنفاذ أقرب للتّماهي، الذي ينعكس على ائتلاف بنيتي الخطاب خارجيًّا وداخليًّا؛ أي في الظاهر والمضمر- كما توقّف البحثُ آنفًا.

١/١- الإطار الثابت وصراع الهويّة:

يَروي المظفّرُ خبرينِ طويلين، يمثّلانِ الإطار الحِكائيّ للمُماتنة النِّسويّة للخطاب الذُكوريِّ، نُوجزُه في تتابع الحدثِ السَّرديِّ (الكُرونولُوجيِّ)؛ إذ يبدأ بطلبِ الشَّاعر، أو غيرِهِ من ذوي الوَجاهَة والسُّلطان خاصّةً، المُماتنةَ؛ فيعجزُ الشُّعراءُ الذُّكورُ عن ذلكَ، ثمَّ تُماتنهُ المرأةُ، وتغلبهُ؛ ومِن ثَمَّ تنجح في تحقيقِ هويّتها، والاعتراف بشاعريّتها.

ويستغلّ المُظفَّر العلويُّ هذا الإطار بشكلٍ لافتٍ؛ فيبدأ حكاية الخطاب بشاعرٍ يُدعى رفاعة المُحترش، ماتن شُعراء قومِه فغَلبَهم جميعًا ؛ فعَزَم على مُماتنة شُعراء قبائل اليمن؛ ليؤكِّد فُحولته التي تحقَّقت له بتميُّزه على أقرانه، فإنْ غلبَهم اقتفَى شُعراءَ العَربِ إلَّا يَجِدَ مَن يُماتنُهُ ويغلبُهُ، حتّى نزل بصَرمٍ من آلِ نَهْدٍ، فصادفَته عَجوزٌ، وسألتْهُ عن سِرِّ وِفادتِه إليهم، وإساءَته لهم، واتّهامهم بالبُخل؛ فلمَّا أخبرها ضَحِكتْ ساخِرةً، ووعدتْه بأنْ تأتي له في الغَد بعشرِ خَرائدَ يُماتنَّهُ دُون الرِّجال.

وصحيحٌ أنَّ قولَها:" دُون الرِّجال" يُضمرُ تراتبيةً ما، ولكنّها تُجهِّزُ لمباراة نسويّة في مُقابل الفَحل المغرور، وتُحضر ثلاثَ فتياتٍ، تتَقدمُهنَّ فتاةٌ نحِيفةٌ طويلةٌ سَائلةٌ مُستنكِرةٌ: أأنتَ المُتحدِّي بالمُماتنةِ؟ فلمَّا أجابَها تركتْه يقولُ أوَّلًا؛ مانحةً إيّاهُ فرصة بداية الحِوار الشِّعريِّ البَدهي المُرتجل؛ ثقةً منها في شّاعريّةِ فتياتها؛ لأنَّ المُبتدئَ يوجِّهُ المعنَى، والمُعجمَ، والصُّورة الشِّعريَّةَ، والإطارَ الموسيقيَّ خارجيًّا، والإيقاعَ الشِّعريَّ داخليًّا؛ فقال مبتدئًا مُماتنَتَه إيَّاها:

سَوَامٌ تَداعَتْ بالحَنينِ عِشَارُها فَقَالَتْ: حَوامِلُ أَثقالٍ تنُوءُ فتَدلَحُ

فَقَالَ: إذَا أيّهَتْ في حَجْرَتَيْها رِعاؤها؛ فَقَالَتْ: سمَتْ فُرَّقٌ منها شوامذ لُقَّحُ

فَقَالَ: إذَا وطِئَتْ أرضًا سَقَتْها بِدَرِّها؛ فَقَالَتْ: أفاويقُ مِسْكٍ محضه لا يُضيَّحُ

فَقَالَ: إذَا انسفَحَتْ أخلافُها خِلتَ ما جَرى؛ فَقَالَتْ: على الأرضِ منها لُجّةٌ تتَضَحْضَحُ[١٢١]

---

١١٩ – يُرَاجَعُ، السّابق،٢٠٠.

١٢٠ – يُرَاجَعُ، الأغاني، ٥٢٣/١٦،والديارات، ٩٨-٩٩.

١٢١ – نضرة الإغريض ،١٩٦-١٩٨.

ويمكنُ قراءة الخطاب الشّعريّ الذّكوريّ- النّسويّ متّصلًا هكذا:

سَـــوَامٌ تَـــدَاعَتْ بـــالحَنينِ عِشَـــارُها حَوامِـــلُ أثقـــالٍ تنُـــوءُ فتَـــدلَحُ
إذَا أيّهَـــتْ فِـــي حَجْرَتَيْهـــا رِعاؤهـــا؛ سَـــمَتْ فُـــرَّقٌ منهـــا شَـــوامِذُ لُقَّـــحُ
إذَا وطِئَـــتْ أَرضًـــا سَـــقَتْها بِـــدَرِّها؛ أفـــاويقُ مِسْـــكٍ مَحْضُـــهُ لا يُضـــيَّحُ
إذَا انسـفَحَتْ أخلافُهـا خِلـتَ مـا جَـرى؛ علـى الأرضِ منهـا لُجّـةٌ تتَضَحْضَـحُ

ولأنَّ الـدَّلالاتِ فيهـا احتمـالاتٌ كثيـرةٌ ظـاهرةٌ، ومُضـمرةٌ، موروثـةٌ جـاهزةٌ، ومُسـتترةٌ مُلتبسـةٌ، حاضـرة واضـحة، وغائبـةٌ ومنفلتـةٌ؛ فهـي فـي حاجـةٍ إلـى جُهدٍ فـي التَّأويل المُحتملِ لغـةً وسِياقًا، وبخاصّة خطابُ المُماتنةِ الذي تُشِعُّ دَلالاتُـه متجـاوزةً سَطحِ النَّصِّ، الذي يعكسُ خطابًـا واحدًا متماسكًا، ولكـنْ ثمَّـة دلالاتٌ بعيـدةٌ خفيَّـةٌ متجـاوزةٌ، تحتـاجُ إلـى تأمّـل لاستكناهِ مـا تختَزنُـهُ مـن تأويلاتٍ أكثرَ احتماليَّـةً أحيانًـا، مـع بُعدها عن المـألوفِ، والمعروفِ الجـاهزِ، ولابـدَّ مـن محاولـة تفكيكها ليتَّفق حِوارُهما من ناحية فـي الخطـاب الظّـاهر، وحـوار كُلٍّ منهمـا مـع ذاتـهِ ليختلـف فـي الخطاب المضمر من ناحية أُخرى. والأمرُ في النِّهاية لا يبعُد كثيرًا عمَّا قالهُ ابـن رشـيق بـأنَّ لكُلِّ كـلام وجُوهًـا وتـأويلاتٍ، ومـن الـتمسَ شـيئًا وَجـدَه[١٢٢]، وهـو مـا وجَّـه لنعتـه خطـاب المماتنـة بالمؤتلف المختلفِ، أو المتّصل المنفصل؛ لكونه خطابًا ذا وجهينِ.

ويجدرُ بهذه القراءة ألّا تقفَ عندَ حُدود طاقاتِ الكلماتِ التَّأويليَّة التي لا تنفدُ، بل تتخطَّاها إلى فَهم الأنسـاقِ الثَّقافيَّـة المُحيطـة بهـا؛ فالفحُولـةُ نمَـطٌ ذكُـوريٌّ سُـلطويٌّ مفعمٌ بإحسـاس الـذَّات بقوَّتهـا وتفوُّقها؛ ولذا يمثِّلُ خطابُها خِطابًا سُلطويًّا، يسعَى إلى الهيمنة وهدْم خِطاب الآخر والسُّخريةِ منه، بـوعيٍ أو دون وعـي، احتفاظًـا بهويَّتهـا المُكتسبة. ومـن المعلـوم أنَّ الفحولـةَ فـي هـذه المجتمعـاتِ البدويَّـة تُشـبعُ حاجـاتِهم الرُّوحيَّـة والوجوديَّـةِ، والحِفـاظُ عليهـا نـوعٌ مـن غريـزة البقـاء والسَّيطرة والتَّوازن النَّفسيِّ والإنسانيِّ.

وقد يستقيم الخطابُ النّقديُّ على مواضعاتِ خطـابِ الائتلافِ السّابقة، لـولا أنَّ خطـاب المماتنـةِ يُضْفَرُ فيه السّرديُّ بالشّعريِّ ضفيرة لا يُمكنُ تجاوزها، لا من حيثُ كون السَّرد مكمِّلًا للشِّعر وجُزءًا متداخلًا معه في الخطاب، ولا من حيث كونُ هذه الضّفيرة تسم خطـاب المماتنـة؛ فهـي مباراةٌ فيها المغالبةُ والحِجاجُ واللَّجاجَةُ والمُخاصمَةُ؛ ولذا فَحَريٌّ أنْ ننظرَ لهذا الخطـابِ فـي إطـار بنائه الحواريِّ بين شَخصين؛ أحدُهما: فحلٌ مُدِلٌ بفحُولـةٍ، غلـبَ بهـا بَنـي قومِـهِ المُغلّبين، وأُنثـى رقَّتْ نحَافتُها حتّـى تلاعَبتْ بهـا الرّيح اللّينـةُ. وهنـاكَ، أيضًـا، عجُـوزٌ تقومُ بـدور الحَكَم، وصـانع الأحداث الذي يختار الشَّخصيَّاتِ، والمكانَ، والزَّمانَ، ويرسم إطارَ الحدثِ.

ولعلّ هوى العجوز متوجِّهٌ سَلفًا مع الشّاعرة، لا سيَّما أنّ الفحلَ اتّهم قبيلتهم كِبْرًا بالبُخلِ، وأساء في ذلك الأدبَ؛ حتّى أمهلتْهُ لهذه المباراة المرتقبةِ مشترطةً على المَهزوم أن يدفعَ ثمنَ خسارتهِ، وإن كان كلّ ذلك لن يمنعها من العدالة التي تستوجب إقرار الخاسر بخسارتهِ.

٢/١- البنية اللُّغويّةُ ومراوغة الدّالّ بين الظّاهر والمُضمر:

---

١٢٢ – يراجع، العمدة ، ١٥٧/١.

تقوم بنيةُ هذا الخطابِ على الحِوارِ بين غَارمينِ غَريمينِ؛ فثمّة نبرةُ ذَكَرٍ مُتعالٍ يُصوِّر مَشهدًا حولَه على عادتِهم في حكاية هذا الخطابِ وما يتطلَّبُه من بديهةٍ وارتجالٍ، ولكنّ الموقف المُضمر الذي جاء من أجله هو إعلانُ فحُولتهِ التي تتحقَّقُ بغلبةِ النّوق والحِقاق؛ فبدأ المُماتنة هازئًا منهنّ:(سَوَامٌ تَداعَتْ بالحَنينِ عِشَارُها) والمُبتدأُ محذوفٌ، يُستدلُّ عليه من السِّياق، وتقديرهُ (هنَّ)؛ بما يحتمل، تأويليًّا، العجُوزَ وهي تسوق أمامها الفتياتِ الثَّلاثَ في صورة نوق سائماتٍ نَتجَ بعضُها، وينتظرُ بعضُها، بعد أن قام الفحلُ بتلقيحها جميعًا، مُدلًّا بفحولَتِهِ التي تجمعُ بين الفحُولةِ الشِّعريَّة والذُّكوريَّةِ؛ فهو الفحلُ الغائبُ الحاضِرُ دومًا.

وتردُّ الشّاعرةُ الإهانةَ بمثلها، على طريقتهِ في الخِطابِ المُضمَرِ؛ فترى أنَّهنَّ(حَوامِلُ أثقالٍ تنُوءُ فتَدلَحُ)؛ فهنَّ ذواتُ مسؤوليَّة عظيمةٍ، يعجَزُ غيرُهنّ عن مثلها، وإن أبدينَ ثقلًا فلم يبدينَ عَجزًا؛ فيتحوَّل الخِطابُ إلى حوارٍ بين الظّاهرِ والمضمرِ في مباراة متبادلةٍ بين عَجزٍ وقُدرةٍ، غَلبةٍ وهزيمةٍ، مترجِّحًا بين الانسجام السَّطحيِّ والصِّراع الباطنيِّ.

ومن الواضح أنّ الجولة الأولى كانت لها؛ فهو إنْ دَلَّ بفحولتِه قولًا؛ فقَدِ امتلكتْ هيَ فحولةَ المَنطق والقول. ولو جرت مقارنة بين لين لُغتهِ وقوّة لغتِها لانقلب السِّحرُ على السَّاحر، وشُهد لها بامتلاك مفرداتِ الفحُولِ؛ كما سيأتي.

ويحاولُ أن يضطرَّها إلى ردٍّ محدَّدٍ يملكُ ناصيتَهُ بأسلوبِ الشَّرط الذي يمتلكُ فعلَهُ، ويوجِّه جوابَهُ المتَّصل به المنسجِم معهُ بفعلِ اللُّغةِ، التي يُقال إنَّها ذكُوريَّةٌ، يحتكِرُها الذَّكَرُ ويوجِّهها[١٢٣] كما يوجّهها رفاعةُ إلى لغة أقربَ لطبيعتهِ (إذَا أيّهَتْ في حَجْرَتَيْها رِعاؤها)؛ أي إنَّها وزميلاتِها اللّائي حَضرنَ ماهنّ إلا بغايا أحضرتهُنّ قَوَّادةٌ متَى دعَتْ إحداهُنّ استجابَتْ.

وتردُّ هي غُرورهُ الذُّكوريّ/الفحوليّ باستكمالِ صُورتها الأولى، وفيها احتمالُ صيرورتهما فريقين(هو/هي) (نُوقٌ نتَجَتْ/أُخرى تنتَظِرُ)، وأنّها برقَّتِها ونَحافتِها بينَ قَومها مِمَّا سَلِم من اللّقاحِ أو أنتَج، في حينَ يأتي هو في الفرقة التي (سَمَتْ فُرَّقٌ مِنهَا شَوامِذُ لُقَّحُ)؛ فهو بتفرُّقهِ عن قومِه كالنَّاقة الفارقةِ التي انتحت جانبًا، وقد أتاها المخَاضُ، أو ترفع ذيلَها نشاطًا ومَرحًا بعد تلقيحِها.

ويبدو واضحًا أنَّه هُزم تارةً أُخرى.

ويخرج المحترشُ بعد هزيمته مرَّتينِ بالمُحاجّة إلى خطاب القبيلةِ؛ خطابِ الجود والكرم؛ إذ هو الخطابُ الفارقُ عند العربِ؛ فالكرمُ رأس المناقبِ جميعها، والبخلُ رأسُ المثالبِ طُرًّا، وقد سبقَ أن اتَّهم قبيلتَها بالبخل؛ فشكتهُ العجوزُ: (مَا عَدَوْتَ أَنْ بَخَّلتَنا وَأَسأْتَ أُحدُوثتَنا)، مُعاتِبةً سبّه إيّاهم بذلك؛ كما جاء في سردِ المماتنةِ؛ فردَّت الفتاةُ الشّاعرةُ عليه صوّرَتَهُ بتصويرها إياه ناقةً نافرةً في استدعاء للمثل المعروف: استنوقَ الجَمَلُ[١٢٤] في مُضمرِ خطابِها؛ إذ اتَّخذ من الناقة رمزًا لذات القبيلة المنتصرة في مضمر خطابه؛ سيرًا على عادة شُعراء الجاهليَّة؛ وبذا يظلُّ هو

---

١٢٣ – يُرَاجَعُ، المرأة والكتابة، رشيدة بنمسعود، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق،١٩٩٤م،٨٤.

١٢٤ – يُرَاجَعُ، الأمثال، الهرويّ(أبو عُبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، القاهرة، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠ م، ١٢٩.

رمزًا للجود والعطاء، يغمرُهم فضلُه، ويرويهم سيلهُ:(إذَا وطِئَتْ أرضًا سَقَتْها بِدَرِّها)؛ فينتقل من الخاصّ إلى العام؛ بوصف النّاقة رمزًا معلومًا عن القبيلة عند العرب، وعلى أساسه قسَّموا قبائلهم أفخاذًا وبطونًا[١٢٥].

ويظلُّ خطابهما معًا يمثّل خطابًا متّصلًا منفصلًا؛ فيُنَكِّرُ "أرضًا" لتفخيم قبيلته بدلالة التّعميم، لتمرير خطاب أصالة الكرم فيهم، وتميّزهم به. ولم يترك لها جواب الشّرط، وذكره بنفسِه(سَقَتْها بدرّها) تفويتًا لفُرصة الجَواب المُحبِطِ الذي وضعتْهُ في خطابها السّابق، ولكنّها استثمرتْ جوابَه في خطابِهِ الظّاهرِ، وجوّلتْهُ لصالحها؛ فزادتْ فيه خَصِيصةً تُميِّزُ قبيلتها عنهُ (أفاويقُ مِسْكٍ مَحضُهُ لا يُضَيَّحُ)؛ أي إنّ قبيلتها أكثر كرمًا؛ لأنّهم يزيدون لبنهم الصّافي الأصيل رائحةَ المِسك حفاوةً بالكَرم؛ فتفوّقت عليه تارةً ثالثةً.

حافظ رفاعة على بنيةِ الشَّرط في البيت الثّالث مراوغَةً بين الجواب وعدمه؛ فذكر جواب الشَّرط، ولم يترك لها سوى متعلّقهِ؛ لينهي المباراة لصالحه حين تخنع لجوابه، وترغب في مُهادنته، وإلّا حسمت المُماتنة لصالحها، بعد أن غلبته ثلاث مرَّاتٍ موجعة؛ فيدفع لها ببنية الشّرط هكذا:(إذَا انسَفَحَتْ أخلَافُهَا خِلتَ ما جَرى)؛ فتأتي (انسَفَحَ) على صيغة انفَعلَ من الفعل سَفَحَ، وهو دالٌّ مراوغ فيه الكثرةُ والغزارةُ من ناحية؛ وهو ما يُلائم خطابه الظَّاهر/خطاب الكرم، كما أنّ فيه الضّياع والهدَر؛ وهو ما يُلائم خطابَهُ المضمَرَ بالسّخريةِ ممَّا تدَّعيهِ من كرمٍ خالصٍ يصوِّره بالمُسافَحَة التي يهدر فيها الماء، وكأنَّ فعل الشرط شَرَكٌ منصوبٌ لها.

ولكنها أكملت بدالينِ مفتوحينِ، يتحملانِ المراوغة أيضًا، ويسدّانِ عليه طريق الغَلبة في خطابيه الظَّاهر والخفيِّ على حدٍّ سواء(لُجّةٌ/ تتَضَحْضَحُ)؛ فالماء المذكور يُكمل صورتها الأولى (لُجّةٌ) بما يستدعي صورة البحر برمزيّة الكرم المألوفة في الإطار الشّعريِّ، ويكمل أيضًا خطابها المُضمر في تصوير ماء قبيلته بالـ(ضَحْضَاح)؛أي الضَّحل، قريب القعر، الذي يَخدع ولا يُغني.

وتأتي المكافأةُ بأنْ يسأل العجوز" أمطلَّقةٌ هذه الجارية أم ذاتُ بعلٍ؟" على عادتهم في بنية خطاب حكاية المماتنة (نشوة وتعالٍ- استدعاء للماتنة- حَكَمٌ – حُكمٌ ورد فعل للخاسر) .

وربّما كان في طلبه حرصًا على استبدال الفحولة الذكوريَّة بالشّعريّة الخاسرة؛ ولذا تُجيبهُ العجوز ببنية مزدوجة الدّلالةِ، يبدو ظاهرها مرضيًا لفحولتهِ الذُّكوريَّة، ويُضمر باطنها سخريةً من هزيمته:

عِقالٌ- لعَمْرُ اللهِ- لو شِئْتَ بتَّهُ شِـــرَادَي وَلكِـــنّ التَّكـــرُّمَ أجْـــدَرُ

فظاهر خطابها أنّ الفتاةَ مُرتبطةٌ، ولكن لو أرادَها فكُّوا ارتباطها، وإن كان التَّكرُّم بتركها لبعلها أولى. ولكنْ يَشِي خطابها المُضمر بأنَّها مرتبطةٌ برباط/عقال وثيقٍ من بني قومها، فلو شاء قطْعَهُ أو فكّر في مثل ذلك تحوّلت حَرونًا شِرادًا عَصيةً، لا يأمن شرَّها؛ ولذا تنصح العجوز بالعفو عنهُ، وتركه يعود إلى أرضه تكرُّما، وهذا أجدرُ وأقربُ لعُرفِ قبيلتها الكريم، ويُرشِّح لهذا

١٢٥ – يُرَاجَعُ، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، عمر السيف، بيروت، الانتشار العربي ،٢٠٠٩م، ١٢٨

المعنى أنَّ(شِرَادِي) ليست في المعاجم، والأقربُ أنَّها(شِرَادَا) كتبَها النّاسخُ بالألف اللّينة؛ كما نجدها عند عليِّ بن ظافر، وكتبتها المُحققة ياءً دون تمحيصٍ؛ هكذا ظلت النَّاقة دالَّا مراوغًا بين المُتنافسين/المتماتنين والحكم.

وإذا عدنا لبداية سرد المماتنة وجدنا وصف الفتاة بعيدانة؛ أي مفرطة الطُّول، وهي صفةٌ تشتركُ فيها النَّخلة إذا طالت، والنَّاقة إذا استفحلتْ[١٢٦]. وفي سؤاله :" أمُطلَّقةٌ هذه الجارية أم ذاتُ بعلٍ؟" ما يؤكِّد أنّ مفهوم الجارية لا ينحصر في الإماء؛ كما فهم بعض الباحثين؛فحصروا خطاب الائتلافِ، بل الخطاب النّسويِّ عامّة في الجواري دون الحرائر [١٢٧]. والجاريةُ هي الفتاة النَّشيطة التي تميل رُوحُها للجري والنَّشاط، بخلاف العجوزِ، وتُطلَق على الحرائر والإماء على السَّواء؛ كما في الحديث الشَّريف:" مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تُدْرِكَا، دَخَلْتُ أَنَا وهو في الجنة كهاتين"، وأشار بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[١٢٨]. رأى النَّوويُّ والسّيوطيُّ وغيرهما من شرَّاح الحديث أنَّ المقصود بالجاريتين البنتان مطلقا؛ فالجارية أُنثى الغُلام[١٢٩]؛ ودليلُ ذلك ما نجدهُ من غزارة إبداع الشَّاعرات من الحرائر والإماء على السَّواء في قصور الخلفاء وما سواها[١٣٠].

٣/١- الإيقاع وصراع الثَّبات الاستاتيكيّ والتَّحوُّل الديناميكيّ:

١٢٦ – يُرَاجَعُ، الكامل في اللغة والأدب، ١٣٨/٢.

١٢٧ – يُرَاجَعُ، كتابة الذات،٧٥، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف، ٨٤.

١٢٨ –الأدب المفرد، البخاري(محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ)،تحقيق: سمير الزهيري، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٩٨م،٤٨٣، ورواه مسلم في كتاب الأدب، وقد فسر المصنف (الجاريتين) في الخبر بقوله (أي بنتين)؛ فالجارية السفينة، سميت بذلك لجريها، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه، والأصل فيها الشابة لخفتها، وتوسعوا حتى سموا كل أمة جارية، وإن كانت عجوزًا،؛ تسمية بما كانت عليه.

– يُرَاجَعُ، المسند الصحيح، مسلم(بن الحجاج ت ٢٦١هـ)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث،١٩٥٥ م،٢٠٢٧/٤، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الصديقي الشافعي(ت ١٠٥٧هـ)، تحقيق: خليل مأمون، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤ م،٨٧/٣.

١٢٩ – يُرَاجَعُ، شرح رياض الصالحين، محمد صالح العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ،٣ /١٠٥.

١٣٠ – يُرَاجَعُ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف وبني الأحمر، دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٨م،٢١٦.

من المعلوم أنَّ الإيقاع جزءٌ بالغ الأهميّة في الخِطاب الشِّعريّ؛ لذا يظلُّ في جدليّة مستمرّة في توجيه دَلالاته، بدايةً من التَّفاصيل الدَّقيقة لطاقات الوزن والقافية، وصولًا إلى إبداع الدّلالة للإيقاع الدَّاخليّ من الصَّوت المفرد، فالكلمة؛ فالتَّركيب؛ فالأسلوب،والخطاب(١٣١).

وقد تركت هذه الفتاة الشَّاعرةُ لهذا الفَحل المُنتفخ زِمام الوزن، واحتفظت لنفسها بزمام القافية، ولم تُصرّع شَطره إعلانًا لتَمرُّدِها من البدايةِ، وعدم تبعيتها لهُ، وبروز جانب استقلاليٍّ يُوحي بالثِّقة والقُدرة على مِراس لُغةِ الفحلِ المُماتن بما تفرضُهُ القافيةُ من سُلطة لُغويَّةٍ ونفسيَّةٍ وإيقاعيَّةٍ في النَّصِّ حتَّى لتسمَّى القصيدةُ، مهما طَالتْ أو قَصُرتْ، بقافيتها،لا بوزنها.

واختارتِ الشاعرة حرف الحاءِ لما يتَّسم به من دَلالاتِ التَّفاؤل، وفرادة خاصة حتّى قيل: إنَّ العربَ وحدَهم قد تميَّزوا به دون غيرهم، كما أنَّه حرفٌ حلقيٌّ، فيه معنى الاستعلاء (١٣٢).

وإذا تأمّلنا الوَحدات الموسيقيَّة الكُبرى/التَّفعيلات المكوِّنة للنَّصِّ وجدنا إيقاعاتِ خطابِ رفاعة مستقرَّةً على وتيرة واحدة(فعولن – مفاعيلن- فعولن- مفاعلن) مُمثِّلةً نغمة واحدةً دالَّة على موقف استاتيكيٍّ جامدٍ، يحملُ دَلالاتِ الصَّدمة والذُّهول، يؤكّد ذلك التزامُه صيغةً واحدة هي صيغة الشَّرط الثَّابتة البنية(إذا الشَّرطية + فعل الشَّرط الماضي)، والاعتماد على هذا النَّسق اللُّغويِّ الموحَّد، الذي افتقر فيه إلى التأثير، وأدَّى إلى نوع من الفتور، والافتقار إلى القوّة والتّأثير، اللّذين ينبعان عادة من تنوُّع الأساليب، الذي هو أصل اللُّغة الإبداعيَّة، وبخاصَّة الخطابُ الحواريّ المتّجه نحو اللّجاجة والحجاج المضمر. ومن ناحية أخرى تنوَّعت تلويناتُها الإيقاعيَّة؛ كما نلحظ في (فعولن) المقبوضة في ثلاثة أعجازٍ لها؛ هي: الأول، والثّاني، والرّابع؛ بما أعطى تنوُّعًا وحيويّة لخطابها، يدعمها في ذلك تنويعُ الوَحدات التّركيبيَّة للجمل التي تتراوح بين الاسميّة والفعليّة، وتوزيع وحدات الجملة تقديمًا وتأخيرًا؛ ممّا رشَّح لموقف ديناميكيٍّ متفاعل وحيويٍّ في مقابل موقف سكونيٍّ استاتيكيٍّ، بدأ هادئًا واثقًا، وانتهى ذاهلًا مصدومًا.

تستوجبُ قراءة هذا الخطاب الخاصِّ مراعاة البنية اللّغويَّة والنّسق الثّقافيّ معًا، وأن نقاوم تلك الطّاقة العنيدة التي تشدّنا لما ألفناه من مذخورنا اللُّغويّ، ونسلِّم بوجود طاقات إيحائيّة متجدّدة حين نتأمل كلمات القافية التي تفرض نفسها بما تملكه من قدرات خاصّة في المفاجأة والتَّأثير؛ تشعر باتجاهها من الفراغ إلى الامتلاء(تَدلَحُ- لُقَّحُ- لايُضيَّحُ- تتَضَحْضَحُ)؛ فكما ينتهي ماء الفحل إلى الفضاء والفراغ، ينتهي دوره تمامًا بمخاضِ النَّاقة، يقابله في خطابها لبنُ ناقتهم المفعم برائحة المسكِ، الخالص من كلِّ شائبةٍ، مهما خضضتهُ مختبرًا تجدْه أصيلًا (لايُضيَّحُ)، وتستمر زيادته

---

١٣١ – يُرَاجَعُ، في بلاغة النص الشعري القديم(معالم وعوالم)، محمد الأمين المؤدب، تطوان، منشورات جامعة عبدالمالك السعدي،٢٠١٠م،١٧١.

١٣٢ – يُرَاجَعُ، سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجيّ (أبو محمَّد عبد الله بن سعيد ت ٤٦٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٢ م،٣١، ٥٦.

حتّى يعمّ "الأرضَ"،و(تتَضَحْضَحُ) بهِ. إنّه امتلاءٌ يتحرَّك من الحسِّيّ إلى المُجرّد؛ فالكثَافة الرمزيَّة تؤول إلى الخُصوبةِ، والامتلاءِ، والقدرة على تعمير الأرض.

أدَّى التَّضعيف في كلمات القافية الثّلاث الأخيرة دوره في التَّكثيف الموسيقيِّ المتّفق مع هذا الامتلاء، وما يستلزمه من وقفات تُشعر بفَرط الثِّقة، واتِّجاهها من الفَقدِ إلى السَّيطرة والقوَّة، في حين تتّجه حركة التَّضعيف عنده من الوجود للعدم.

واتّجهتْ كلماتُ القافية الدَّاخليّةِ التي اصطنَعها رفاعةُ في عَروضِ صُدُور الأبيات من الامتلاء نحو الفراغ مع إبدال الكلمة بمتعلّقها في عَروض البيت الأخير؛ لأنّها جاءت في موضع الصِّلة (عِشَارُها – رِعَاؤُها- بِدَرِّها- انسفَحَتْ)، وتمثِّل كلمة النِّهاية في خطابه (انسفَحَتْ) الضِّياع والخسارة، وما يستلزمهما من يأس وألمٍ، في مقابل (تتَضَحْضَحُ) بما تحمله من نشوةٍ؛ فالانسفاحُ هدرٌ، والتَّضحضحُ سعادةٌ رقراقةٌ.

واستكمالا لصورة هذه الغلبة نلقي نظرة على الضَّمائر التي هيمنت على عروض خطابه؛ لما تمثّله في هذا الخطاب من أهميّةٍ بوصفها الشرايين الفاعلة في نسيجه، التي تحدِّد مرتكزاتهِ، وهُويَّتَهُ، وتُوجِّه دَلالاتِه؛ فنلحظ أنّ الشّاعرة اضطرّته إلى تغليب ضمير المؤنَّث، وصيغ التَّأنيث في خطابهِ، في حين جاء ضمير المذكّر بوصفه الحاضر الغائبَ، وبالأحرى المغلوب.

سيطرت الأنثى على الأبيات الأربعة المكوّنة لخطابه من خلال ضميرها البارز الظَّاهر على عروض الأبيات الثّلاثة الأولى عنده(عِشَارُها - رِعاؤها- بِدَرِّها)، كما سيطرت على حشو صدوره الثّلاثة من الثّاني إلى الرّابع عنده أيضًا(حَجْرَتَيْها-سَقَتْهَا- أخلافُها)؛ بما يمثِّل قافيةً داخليَّة سكونيَّة، تقفُ في كلِّ مرَّة بلا تغييرٍ على الألِفِ، الذي قبله الهاء العاكسة للتّشويش النّفسيِّ والوجُوديِّ والرُّوحيِّ، بما تحملهُ الهاءُ من هزَّاتِ الألم وانفعالات الحسرة، ونفادِ الصَّبر، والانهيارِ التّامِّ، يؤكّد ذلك بروزُ تاء التَّأنيث المفتوحة في بداياتها جميعًا(تَداعَتْ- أيّهَتْ- وطِئَتْ- انسفَحَتْ)؛ومعنى ذلك أنّها سيطرت على خطابه كلِّه.

وصار من المنطقيِّ أن تبرزَ سيطرةُ الأنوثةِ في نصِّها بشكلٍ لافتٍ، وفي صُور شتّى؛ كما نجد في صيغِ الجُموع الخاصّة بالمؤنّثِ(حَوامِلُ- شَوامِذ- لُقَّحُ)، وتاء التّأنيث المربوطة(لُجَّة)،والمؤنّث المعنويّ بامتداداتهِ الوجوديّة(الأَرْض)، وتاء التّأنيث في الأفعال(تَنُوءُ- تَدلَحُ -سَمَتْ- تتَضَحْضَحُ).

ونلحظ، أيضًا، سيطرة الأفعال الماضية في خطابه يقابلها سيطرة الأفعال المضارعة في خطابها؛ إنّه الحضُور في مقابل الغياب، كما نحت لغته معجميّا وموسيقيًّا نحو الليونة (تداعتْ- وطئتْ- انسفحتْ) في مقابل لُغتها التي جنحتْ نحو القوّة والتَّفعُّل (تَدلَحُ- شوامذُ- لُقَّحُ- تتَضَحْضَحُ).

حاول رفاعةُ أن يمتلك حقّ السُّؤال عن طريق بنية الشّرط المتكرِّرة بإيقاعها الموسيقيِّ الرَّتيب؛ ولكنّها ملكت حقّ الرَّدِّ وتوجيهه حسب إرادتها، لا حسب ما اقتضاهُ السُّؤالُ المبنيّ على طريقة الشّرط، الذي يأتي جوابه،عادةً، موافقًا لشَرطهِ، ولكنّها فاجأته بطرائقها اللغويّة المخالفة المختلفة.

وجاء تكرار الحاء في تضاعيف الإجابة وختامها مُكثِّفًا حضوره صوتيًّا وإيقاعيًّا في مقاومةٍ متّصلة للهيمنة الذّكوريّة المتعالية بإيقاع خطابهِ الاستجوابيِّ؛ فنجحت في تأكيد هُويتها المستلبة، وإجباره على الاعتراف بالخسارة والإذعان للهزيمة.

وتتجلَّى نتيجةُ تلك المغالبة في تسليم رفاعة للفتاةِ الشّاعرة، وعزمهِ على العودة لبلاده معلنًا هزيمته، وكأنَّ ماء البيت الأخير(لُجّةٌ) ما زال عالقًا في حَلقهِ، حين أجابَ العجوزَ التي أمهلته لمُماتنة الأُخرى قائلًا :" أروَتْني الأولى"؛ فأعلنتِ العجوزُ، حينئذٍ، الحُكمَ:" اِلْحَقْ الآنَ بأرضِك".

وفي أمرها الحاسم(اِلْحَقْ) إعلانُ هزيمته وعودته منكسرًا. ونلحظ أنّ العجوز طرَفٌ وحكَمٌ، ومع ذلك جاء حكمها منصفًا بما رأيناهُ من طبيعة الخِطاب بين المتماتنين، وفي ذلك ردٌّ على ما افترضناهُ سلفًا من عدِّ آراء الرِّجال في الخطاب الشّعريّ النّسويّ نوعًا من المجاملة والمحاباة. ودليل ذلك أنَّ المرأة كثيرًا ما تكون حكمًا في الإجازة والمماتنة وما إليهما[١٣٣]، كما أنّ تحليل الخطاب الشّعريِّ للمماتنة يؤكِّد أنَّنا أمام خطابٍ تفاعليٍّ مؤتلف في ظاهره وبنائه السّطحيّ، مختلف في مضمرهِ، وبنائهِ الباطنيّ؛ ولذا لا أتّفق مع بعض الباحثين الذين يرون أنّ الخطاب في المماتنة هو نفسه الخطاب في الإجازة، التي تُعدُّ عندهم، مماتنة ذاتية[١٣٤].

وأرى أنّ خطابَ الإجازة متّصلٌ داخليًّا وخارجيّا؛ لكأنّ المتحاورين امتزجَا وتماهَى خطابُهما، في حين يبقى خطاب المماتنةِ تفاعلًا بين خطابين متصارعين، يشكّلان في النّهاية خطابا مؤتلفًا في ظاهره، مختلفا في مضمرهِ؛ هكذا أدَّى البناءُ اللغويّ والموسيقيُّ دورًا بارزًا في تمثُّلات المُماتنة، وما تحملهُ من رؤى جماليَّة وسياقات ثقافيَّة، وأسهم سياقُ سردها في توجيه الدَّلالات والمواقف؛ فهو جزءٌ أصيلٌ من نصِّ المماتنة.

٢- الإطار الحكائيّ(الّتناسل والاستبدالات):

جاءت حكاية رفاعة المحترش والفتاة في إطارٍ حكائيٍّ سهل التناسل بتوليد حكاية أو حكايات مشابهة تتبعه في الإطار ذاته، بالاستعانة بمجموعة من الاستبدالات حتى لا تفقد الحكاية دهشتها؛ وهو ماسهَّل على الرُّواة تَكرار حكايته مع أخرى، يظهر فيها الشَّاعر المهزوم رفاعةُ في محاولة مشابهة لاستعادة فُحولته الشِّعريَّة مع شاعرة أخرى، نزل بحيّها وأخبر شيخًا عجوزًا بطلبِه؛ فجاءَتْ جُوَيْريَةٌ عُجيفاء تُماتنه، ويحكم الشّيخ بينهما هذه المرَّة، وتمرُّ المماتنةُ بالمراحل نفسِها عبر حوارٍ طويلٍ متّصل منفصل؛ ظاهرهُ اتصال خطابيهما، كأنَّهما نسيجٌ واحد، وباطنُه حوارٌ يصارع حوارًا ويغالبُه حتى يغلبَه، وتأتي جملة النّهاية نفسها، ولكنّها تأتي هذه المرة باختياره هو" فرَجعتُ إلى أهلي وآليْتُ على نفسِي أنْ لا أُماتِنَ بعدَها أحدًا ما عشتُ."

---

١٣٣ – يراجع، المحاسن والأضداد ،١٣١، والإماء الشواعر، ٤٠.

١٣٤ – يُرَاجَعُ، المماتنة الشعرية، أنماطها وغاياتها إلى نهايات القرن الرابع الهجري، جمال السوداني، بغداد، مجلة آداب المستنصرية،عدد٥٨ ،٢٠١٢م، ٥٦٢-٥٦٨.

ولثبات الإطار الحكائيّ وسهولة استنساخه مع بعض الاستبدالات في الشّخصيّات، والمكان، والزّمان، والحكَم، يكرّرهُ المظفَّر العلويُّ لينهي شاهدَهُ الطّويل بأن" هذا مثالٌ في المُماتنة كافٍ، ولولا الإطالة لأوردتُ من هذا النَّوع أشياءَ طريفةً عجيبةً." [١٣٥]

ولتأكيد ذلك يمكنُ أن نتوقّف أمام حكاية مُماتنة،لا معارضة؛ كما فهم بعض الباحثين[١٣٦] تبدأ عند الجاحظِ باجتماع جماعةٍ من الشُّعراء ببابِ عديّ بن الرّقاع، يريدون مماتنتَه ومساجلتَه؛ فتخرج إليهم ابنته وهي صبيّة صغيرة قائلةً: [الطويل]

تَجمّعـــتُم مِـــن كُـــلّ أوبٍ ومَنـــزِلٍ عَلَـــى وَاحِـــدٍ لَا زِلـــتمُ قِـــرنَ وَاحـــدِ.

فأفحمتهم جميعًا[١٣٧].

بدأت هذه الحكاية عند الجاحظ(ت٢٥٥هـ) في باب "مَن قال شعرًا وهو صغير"، وغيَّر ابنُ قُتيبة رواية البيت برواية (وبلدة) مكان(ووجهة) [١٣٨] ؛أي إنّهم اجتمعوا من بلاد مختلفةٍ وليسوا من مواطنيه المجاورين الحاسدين؛ لتعظيم نصرها، ويعبر عن خسارتهم أمامها بقوله:" فانصرفُوا عنهُ ولم يهاجمُوه"[١٣٩] ثمّ يزيد المبرِّد(ت ٢٨٦هـ) على رواية المماتنة تقييمًا؛ ظاهرهُ جماليٌّ، وباطنه ثقافيّ؛ فيحكم على خطابها بأنها بلغت منزلة الأعشى[١٤٠]، مؤكّدًا أن تعزيز النّسقَ الثّقافيَّ المضمرِ يمرّ عبر الجماليّ الظّاهر.

ويضيف الصّفديُّ(ت ٧٦٤هـ)، بُعدًا آخر للحكاية من خلال التَّفاصيل والاستبدالات؛ فيضيف غياب أبيها؛ بما يحمله الخطاب المضمر من تعمّدها مواجهةَ الشُّعراءِ في جسارةٍ متعمَّدة، وكان يكفيها إجابتهم بغياب الأب[١٤١].

---

١٣٥ – نضرة الإغريض ،٢٠٠.

١٣٦ – يراجع، التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع، مريم الحارثي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ٢٠٠١م، ٢.

١٣٧ – الحيوان، الجاحظ، تحقيق: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلميَّة،٢٠٠٣م، ٣٠/٣.

١٣٨ – وكأن هذه الرواية أعجبت أبا هلال العسكري فاختارها في رواية البيت. – الصناعتين، ٣٦٩.

١٣٩ – الشعر والشعراء، ٦٠٣/٢.

١٤٠ – الكامل في اللغة والأدب، ٢١٠/١.

١٤١ – الوافي بالوفيات، الصفدي(خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث،٢٠٠٠م، ٣٥١/١٩.

وانتبه اليُوسِيَّ(ت١١٠٢هـ) إلى شرط البديهة والارتجال المفترض في هذا الخطاب، الذي فات الرُّواة؛ فيضيف وصفه لسُرعة ردّها دون تفكير: "على الفور"[١٤٢]؛ بما يُعزّز الثّقة في حدّة ذهنها، وطواعية قريحتها الشّعريّة؛ ولذا أعتقد أنّ الرّواة كانوا وراء ثبات هذا الإطار وتشابه الحكايات؛ فما أكثر ما تتشابه القوالب الحكائيّة في السَّردِ التُّراثيّ، نظرًا للطبيعة الشَّفويّة لهذا الخطاب، وتنقله بين هؤلاء الرّواة أجيالًا إلى عصر التّدوين.

ويلفتنا، أخيرًا، في حكايات الخطاب المؤتلف المختلف حضور الثَّنائياتِ المتضادَّة التي هي من مستلزماته في إطاره الواحد المتشابه، ولكنّها في النّهاية تُمرّر خِطابًا أراده آباء الثّقافة العربيّة من الرّواة والنّقّاد المؤسّسين، لعلّ مؤدَّاه أنّ النّساء شقائق الرّجال؛ وهو ما يشي بأنَّه لو وصلَنا الكثير من أضراب هذا الخطاب لما تمادى أتباع مقولات النّقد الجندريّ، والنّسويّ، والثّقافيّ في استنساخ الآراء الجاهزةِ، وانتقاء بعض الشّواهد والاعتساف في تأويلها لينتهي الرّأي لديهم بتهميش العربِ القدماءِ الخِطابَ النّسويّ عامَّة، والشّعريّ خاصَّة، واحتقاره؛ كما احتُقرَ في الثّقافات الأخرى.

١٤٢ – زهر الأكم في الأمثال والحكم، ٢٧٢/٢.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

توقّف البحث عند قراءةِ بنية الخِطاب الذُّكوري - النِّسويّ القديم، في ظلِّ ما يُحيط به من أنساق ثقافيَّةٍ، تُشكِّله وتتفاعلُ معهُ إنتاجًا وتلقيًا، بين الائتلاف والاختلاف، وهو خطابٌ على أهميَّته القُصوى، التي نلمسها من خلال الفُصول، والأبواب، والكتبِ التي أفردَها لهُ القدماءُ جنبًا إلى جنب مع الخطاب الذّكوريّ، لم يحظَ بمثل هذا الاهتمام في الدّرس الأدبيِّ الحديث.

وقد حاول البحث إجابة الأسئلة التي وضعها فرضيّات للوقوف على ماهيَّة هذا الخطاب، ومدى تأثيره في الشِّعريّة العربيَّة القديمة، وصيرورته بين التَّخطِّي والالتزام، وكيفيَّة قراءته في ظلِّ أنساقهِ الثّقافيّة الملتبسة المتلبَسة به؛ مما أدَّى إلى تقسيمه إجرائيًّا إلى خطابينِ؛ خطاب الائتلاف، والخِطاب المؤتلف المختلف.

تمثَّل خطاب الائتلاف في الإجازة، والإنفاد، والّتمليط، وما إليها، وإن ركّز البحث على الإجازة تمثيلًا لهذا النّوع، وقصد بالائتلاف ائتلاف بنية الخطاب ظاهريًّا وباطنيًّا؛ أي ائتلاف الخطابين الشّعريّين الذّكوريّ والنّسويّ، والظّاهر والمضمر، نتيجةً للتّماهي وتطابق دائرتي الأنا والآخر، بحيث لا تلحظ الفروق ولا تستبين إلا من خلال الحكاية السّرديّة المتّصلة به؛ فأتى خطابًا متناغمًا متّصلا كأنّه نصّ لمبدع واحدٍ، وكأنَّ مبدعيه يقولان بضمير واحد عن قريحة واحدة، وإحساسٍ واحد.

وانتهت إجابة سؤال التّأصيل إلى كون خطاب الائتلافِ مُعرِقًا في قدمِه عراقة الخِطابِ الشّعريّ العربيّ منذُ فحُول الشّعر الجاهليّ الذين ارتبطت بدايته بهم، وشهدوا لشريكتهم بالإجادة والتفوق في هذا الخطاب التّفاعليّ، الذي يكمل فيه السّردُ الشّعرَ، والنّسويُّ الذّكوريَّ، بما سمح للخطاب النّسوي، بعد ذلك، بمحاولة مخالفة النُّموذج الأبويّ الذّكوريّ، وتخطّيه، ومع ذلك ظلَّ خطابًا منسجمًا في بنيته ودلالاته.

استمرَّ خِطاب الائتلاف في المَشرقِ، وانتقل إلى الأندلس، كما انتقل من الشّعر إلى الموشّح؛ ولذا خالف البحث آراءَ مَن قَصَرَ هذا الخطاب على العبّاسيّين أو الأندلسيّين.

أوضح البحثُ أن هذا الخطاب قد يكون مكتوبًا، وأشار إلى شواهد كتابيّةٍ متعدِّدةٍ، مع كونه شفويًّا في أصله. وقد استنتج البحث من هذه الشّواهد المكتوبة على الرّقاع، والجدران، والأشجار، والثّمار، بالمدادِ، وبالأحجار، مشاركة الخِطاب النّسويّ الخِطابَ الذُّكوريَّ في بنيّة الثّقافة المكتوبة، وأَكَّدَ هذه الفرضيّة بشواهد أُخرى استدلّ بها؛ لينتهي إلى معارضة غلوّ الأفكار القائلة بتهميش المرأة العربيَّة واحتقارها في بنية الثّقافة، وتفنيد دعوى أن كلّ جارية خادمة، ذلك الغلوّ الذي ساد كثيرًا من الدّراسات النّقدية الجندريّة، والنِّسويّة، والثقافيّة المستنسخة؛ ولذا استلزم خطاب الائتلاف المكتوب مناقشتها، مناقشة انتهت إلى أنّ الخطاب الشّعريّ النّسويّ وفيرٌ، وفرة كانت متحقّقة إلى عهدٍ قريبٍ، أبدعته النّساء الحرائر والجواري، من ذوات الوجاهة والبيوتات الشّعريّة، ومن طبقات المجتمع عامّة، ولكن أضاعته يدُ الإهمالِ والجهل، وتسلُّط الأعاجم.

رصد البحثُ ما رآه من سماتِ خطاب الائتلاف في ضوء الأنساق الثّقافيَّة المحيطة به؛ فرأى أنَّه يتشكَّل عادةً في إطار واحدٍ متكرِّرٍ؛ يبدأ بالإجبالِ، أو الإرتاج الذُّكوريِّ، فطلب الإغاثة، والإنقاذ،

وعَجْز الخطاب الذُّكوريّ عن إنقاذهِ، فيسرع الخطابُ النّسويُّ لإغاثته في إجادة نادرة؛ ممّا يجعل مستحقَّة لمكافأة ماديَّة ومعنويَّة؛ أهمُّها تحقيق هويَّتها، وانتزاع الاعتراف بشاعريّتها.

وسَم البحثُ خطاب المماتنة بالمؤتلف المختلف؛ لما رآه من كونه مؤتلفًا في ظاهره، ومختلفًا في مضمره؛ إذ يقوم على صراعٍ بين مُبدعَيْهِ، يبدأ من السَّرد المُتصل به، المتداخل في تكوينه، ثمَّ ينتقل إلى بنية الشِّعرِ؛ التي لُحظ، من خلال القراءة، أنّها بنيةٌ مراوغة؛ تختلف فيها دلالات الدَّالِّ بين ظاهر النَّصِّ وباطنه، أو بين الخطابين: الظَّاهر والمضمر، وهو ما سيطر على نسيج خطاب المماتنة المؤتلف المختلف لغةً وإيقاعًا وتصويرًا.

وقد توصّل البحثُ، بالقراءة الفاحصة للثُّنائيَّات المتقابلة في الخطابين:(الظّاهر والمُضمر)، إلى القول بتحكُّم الوعي اللُّغويِّ والموسيقيِّ بين شقي الخطاب الذُّكوري- النّسويّ؛ إذ يتقاسم مبدعاه سيادةَ ركني الإطار الخارجيِّ؛ ففي حين يبادر الخطاب الذُّكوريُّ إلى سيادة الوزن ، يتحكَّم الخطابُ النِّسويُّ في القافية، ويستثمرها في تحويل الضَّمائر للتَّأنيث، والتحكّم في المعجم اللُّغويِّ، كما يستثمر البنية الإيقاعيّة سعيًا لانتزاع الهويّة النّسويَّة من الهيمنة الذُّكوريَّة في هذا الخطاب المزدوج، الذي يبدو في ظاهره مؤتلفًا، ولكنْ يظلُّ في مضمره مختلفًا متصارعًا.

حدَّد البحث سمات خاصة للإطار الحكائيُّ في الخطاب المؤتلف المختلف؛منها القدرة على التَّناسُل، والتّشابه بالاستبدالات؛ فهو إطارٌ واحدٌ متشابه، يتشابه بين كثيرٍ من الرُّواة والنُّقاد من آباء الثَّقافة العربيَّة المؤسِّسين، سهل عليهم تناسل الحكاية بإتباعها بحكاية مشابهة مع استبدالات في عناصر الخطاب؛ لئلَّا يفقد دهشة التّلقّي.

وكأنَّهم قصدُوا بتلك التّقنيات تمرير خطاب المساواة، ورفض التَّفحُّل المزعوم، تأسيسًا لقيم العدالةِ والحريّةِ والمساواة، وأنّ النّساء شقائق الرّجال في بنية الثَّقافة العربيّة التي يؤطّرها الخطاب الإسلاميّ منذ مهدها.

وبالرّغم من أنّ من بين دوافع هذا البحث، وهمومه، مناقشة مقولاتٍ بعينها، تترى، متطرّفة في وصف الثّقافة العربيّة باحتقار الخطاب النّسويّ، وتهميشه، وإقصائه، بدافع الحقد والاستعلاء الذّكوريّ الفحوليّ؛ فإنَّه لم يجنح إلى تبنِّي خطابٍ أُحاديٍّ، أو خَطابيّ؛ ليدّعي وجود قيم مضادّة على حساب الحقائق عبر تطور الأنساق الثّقافيّة من الخيام إلى القصور، وإنّما حاول من خلال التّأويل المحتملِ، لا المُفرِط، أن يُظهر الوجه الآخر المسكوتَ عنه لتقريب الصُّورة إلى حقيقتها، بعيدًا عن التّنميط الثّقافيّ.

- **أهم المصادر والمراجع**

- أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي العربي، عاصم محمد أمين، جامعة السلطان قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد ٣، عدد ٢٤، ٢٠١٦م.
- الإجازة في الشعر الأندلسي، وائل أبو صالح، مجلة جامعة بيت لحم، المجلد١٣، ١٩٩٤م.
- أخبار النّساء، ابن قيم الجوزيّة(ت ٧٥١هـ)، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٢م.
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، الضّبّي(العبّاس بن بكّار ت ٢٢٢هـ)، تحقيق: سكينة الشّهابيّ، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٣م.
- الأدب المفرد، البخاري(محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ)،تحقيق: سمير الزهيري، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.
- أشعار النِّسَاء، المرْزُبَانِيّ (أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران ت ٣٨٤هـ) حقَّقَهُ: سامي مَكِّيّ العاني، وهلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٥م.
- الأدب النسوي في الأندلس، محمد المنتصر الريسوني، المغرب، وزارة عموم الأوقاف، مجلة دعوة الحق، العددان ٩-١٠، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
- الإصابة في استحباب تعليم النساء الكتابة، التميمي(محمد العسافي ت١٣٩٤هـ)،تحقيق: إبراهيم بن عبد العزيز اليحيي، الرياض، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع،١٤٢٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ(أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤١٥ **هـ.**
- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥ ه-١٩٩٤م.
- الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: جليل العطية، بيروت، دار النضال،١٩٨٤ م.
- الأمثال، الهروي(أبو عُبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ)،تحقيق: عبد المجيد قطامش، القاهرة، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠ م.
- الأنثوية في الأدب، النّظريّة والتطبيق، إبراهيم أحمد ملحم، عمان، عالم الكتاب الحديث،٢٠١٦م.
- بدائع البدائه، ابن ظافر الأزديّ (علي بن حسين أبو الحسن جمال الدين ت ٦١٣هـ)، ضبطه وصحّحه: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
- البديهة والارتجال في التُّراث النّقديّ والشّعريّ(دراسة نقديّة)، عبدالحميد محمد شعيب، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللّغة العربية بالمنصورة، العدد٢٨، الجزء الرابع، ٢٠٠٩م.
- البصائر والذّخائر، التّوحيديّ (أبو حيان علي بن محمّد بن العبّاس ت ٤٠٠هـ)،تحقيق: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨م.
- بنية الرّحلة في القصيدة الجاهليّة(الأسطورة والرّمز)، عمر بن عبدالعزيز السّيف، بيروت، مؤسّسة الانتشار العربيّ ،٢٠٠٩م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرّافعيّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ،١٩٧٤م.
- تجليّات في الشعر الأمويّ(مقاربات نقديّة)، عزمي الصالحي، ونجود الحوامدة ،عمان، أمواج للنشر والتّوزيع،٢٠١٢م.
- تحرير التَّحبير في صناعة الشِّعر والنَّثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ت ٦٥٤هـ)،تحقيق: حفني شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،١٩٦٣م.

- تحفة الفكاهة في المنادمة والنزاهة، محمد أفندي سعد، القاهرة، المطبعة الشرفية،١٣٠٧هـ-١٨٩٠م.
- التَّذكرة الحمدونيَّة، ابن حمدُون (مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن عليّ ت٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسَان عبَّاس، وبكر عبَّاس، بَيْرُوت، دَار صَادِر، ١٩٩٦م.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشَّاق،الأنطاكيّ(داود بن عمر ت١٠٠٨هـ)، تحقيق: محمّد التّونجي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٣م.
- التّصوير البيانيّ في شعر عدي بن الرِّقاع، مريم عوَّاض الحارثيّ، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ٢٠٠١م.
- تعليق من أمالي ابن دُريد،(أبو بكر محمّد بن الحسن ت ٣٢١هـ)،تحقيق: السّيد مصطفى السّنوسي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٩٨٤ م.
- تلقي شعر المرأة في الخطاب النقدي(تحليل ثقافي)، معجب سعيد العدواني، الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي أوزو، مجلة الخطاب،العدد٢١ ،٢٠١٦م.
- ثقافة العصر الوسيط والخطابات الاجتماعيَّة حول النِّساء، أميرة سنبل، ترجمة: أميمة أبو بكر، ضمن كتاب موسوعة النِّساء والثَّقافات الإسلامية، ليدن- بوسطن، دار بريل،٢٠٠٣م.
- جدلية الذّات والآخر في الشّعر الأمويّ(دراسة نصيّة)، فاضل أحمد القاعود، عمان، دار غيداء للنشر والتّوزيع،٢٠١٢م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس النَّاصح الشَّافي، النَّهروانيّ (أبو الفرج المعافى بن زكريا ت ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٥ م.
- حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين)، الخالديان(أبو بكر محمد بن هاشم، ت ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم ت ٣٧١هـ)،القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٦٥ م.
- الحيوان، الجاحظ(عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط٢، ٢٠٠٣م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي(عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤،١٩٩٧ م.
- الخطاب النسائي ولغة الاختلاف، فاطمة كدو(مقاربة للأنساق الثقافية)،الرباط، دار الأمان، ٢٠١٤م.
- الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد، ابن أيدمر(محمد بن أيدمر المستعصمي ت ٧١٠هـ)، تحقيق: كامل الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠١٥م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الصديقي الشافعي (محمد علي ت ١٠٥٧هـ)،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٤ م.
- الديارات، أبو الفرج الأصبهاني ،تحقيق: خليل العطية، لندن، رياض الريس للكتب والنشر ،١٩٩١م.
- ديوان أبي النَّجم العِجْليّ(الفضلُ بن قُدامة ت ١٣٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أديب جمران، دِمَشْق، مطبوعات مجمَع اللُّغة العَرَبيّة، ٢٠٠٦م.
- ديوان أبي دواد الإيادي، تحقيق: أنوار الصَّالحيّ، وأحمد هاشم السَّامرائيّ، دمشق، دار العصماء، ٢٠١٠م.
- ديوان العبَّاس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجيّ، القاهرة، دار الكتب المصريّة،١٩٥٤ م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزَّمخشريّ(جار الله ت٥٨٣ هـ)، تحقيق: عبدالأمير مهنا، بيروت، مؤسَّسة الأعلمي،١٤١٢ هـ.

- ري الظّمـا فيمن قـال الشّـعر مـن الإمـا، ابـن الجـوزيّ(ت٥٩٧هـ)، تحقيـق: عبـدالرّحمن الوصيفي، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، الحُصْريّ القيروانيّ (إبراهيم بن علي بن تميم أبو إسحاق ت ٤٥٣هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم :زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت، دار الجيل، ط٤،(د.ت).
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسيّ(الحسن بن مسعود بن محمّد ت١١٠٢هـ)،تحقيق: محمد حجّي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة،١٩٨١م.
- سؤالات أبي حاتم السّجستانيّ للأصمعي، ورده عليه فحولة الشعراء، تحقيق: محمد أبو جري، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،١٩٩٤م.
- سادنات القمر(سرَّانيَّة النَّصِّ الشِّعْريِّ الأُنثوِيِّ)، محمَّد العبَّاس، بَيْرُوت، مُؤَسَّسَةُ الانْتِشَار العَرَبيّ، ٢٠٠٣م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن سعيد الحلبي ت ٤٦٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٢م.
- سيكولوجية المرأة(قضايا معاصرة)، ناهد رمزي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب(ت٢٩١هـ)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٤م.
- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة السُّكريّ(أبي سعيد بن الحسن بن الحسين ت ٢٧٥هـ)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ٢٠٠٢م.
- شرح ديوان المتنبي، للإفليلي(إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ت٤٤١هـ)،دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٩٢م.
- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ.
- شُروح سِقط الزَّند، أبو العَلاء المعرّيّ، تحقيق: مُصطفى السَّقا، وعبدالرّحيم محمُود، وعبدالسَّلام هارون، وحامد عبد المجيد، إشراف: طه حُسَين، القَاهِرَةُ، الهيئة المصريَّة العامَّة لِلْكِتَابِ، ١٩٨٦م.
- شرح شواهد المغني، السّيوطيّ(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت ٩١١ هـ)، تحقيق: أحمد ظافر كوجان، القاهرة، لجنة التراث العربي، ١٩٦٦ م.
- الشِّعْر النِّسائيُّ في أدبنا القديم، مي يوسف خليف، القَاهِرَةُ، مكتبة غريب، ١٩٩١م.
- شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حسن عيسى أبو ياسين، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر،١٩٨٣م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوريّ(أبو محمّد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٢م .
- الشفاء في بديع الاكتفاء،النَّوَاجيّ،(شمس الدين محمد بن حسن بن علي ت ٨٥٩هـ)، تحقيق ومراجعة: محمود أبو ناجي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت٨٢١هـ)، القاهرة، دار الكتب ،١٩٢٢م.
- الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة، كمال جبري أمين، عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية، ١٩٧١م .
- صورة الجاهلية(الجاهلية من التصور الأدبي والحقيقة التاريخية)، محمد زروق، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

- صُورَة الرَّجُل في القصص النِّسَائيّ، سوسن ناجي ، القَاهِرَةُ، المجلسُ الأعلى للثَّقافَةِ، ٢٠٠٦م.
- صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف وبني الأحمر، دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٨م.
-
-
- ضرائر الشِّعْر، ابن عصفور(علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، أبوالحسن ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، القاهرة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠ م.
- طبقات الشَّافعية الكبرى، السُّبكي (أبو الحسن علي بن عبد الكافي تقي الدين ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر ،ط٢ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م
- طبقات الشُّعَرَاء، ابن المعتزَّ(عبدالله بن المعتزت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبدالستَّار فرَّاج، القَاهِرَةُ، دار المعارف، ١٩٧٦م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٩٨٣م.
- عقلاء المجانين، ابن حبيب(أبو القاسم الحسن بن محمد ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: عمر الأسعد، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٧م.
- العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن بن ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: النَّبوي عبدالواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
- الفاضل، المبرد(محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، عبدالعزيز الميمني ،القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٩٥م.
- فحولة الشعراء، الأصمعي(أبو سعيد عبد الملك بن قريب ت ٢١٦هـ)، تحقيق: ش. تورّي، قدم لها: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٠ م .
- فعل الكتابة بصيغة المؤنث من خصوصية التخطي إلى انبثاق النموذج، مصطفى سُلوي، جامعة محمد الأول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عدد٢ ،٢٠١١م.
- الفكاهة والايتناس في مجون أبي نواس، طبعه: منصور عبدالمتعال، وحسين شرف، القاهرة، ١٣١٦هـ.
- في بلاغة النصّ الشّعريّ القديم(معالم وعوالم)، محمد الأمين المؤدّب، تطوان، منشورات جامعة عبدالمالك السَّعديّ،٢٠١٠م.
- قصيدة المرأة في المملكة العربيَّة السّعودية(مقاربات تطبيقيَّة)، راشد عيسى، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٠م.
- الكامل في اللّغة والأدب، المبرّد(محمّد بن يزيد، أبو العباس ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- كتابة الذات(قراءة في خطاب الهوية: دراسة نقدية)،سوسن ناجي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٧م.
- لغة الشّعر النّسويّ العربيّ المعاصر(نازك الملائكة، وسعاد الصّباح، ونبيلة الخطيب نماذج)، فاطمة حسين العفيف، إربد، عالم الكتب الحديث،٢٠١١م.
- ما أُلِّف عن النِّساء، صلاح الدين المنجِّد، مقال بمجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد١٦، العددان ٥، ٦، ١٩٤١م.
- ما يجوز للشَّاعر في الضَّرورة، القزّاز القيروانيّ (محمد بن جعفر أبو عبد الله ت ٤١٢هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، الكويت، دار العروبة، الكويت،١٩٨٢م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (نصر الله بن محمد ضياء الدين ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،(د.ت).
- المجتنى، ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت ٣٢١هـ)، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٩٦٢م.
- المحاسن والأضداد، الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٢٤هـ.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٩م.
- المذاكرة في ألقاب الشعراء، الإربليّ (أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيبانيّ ت ٦٥٧هـ)، تحقيق: شاكر عاشور، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م.
- المرأة- التحرر- الإبداع، خالدة سعيد، الدار البيضاء، نشر الفنك،١٩٩١م.
- المرأة في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف ٤٠٠-٤٨٤هـ)، سلمى سليمان علي، القاهرة، دار الثقافة الدينية، ٢٠١٤م.
- المرأة محاورة(قراءة في التراث)، وسمية عبدالمحسن المنصور، مجلة عالم الفكر العدد ٢، المجلد ٣٤، ٢٠٠٥م.
- المرأة والكتابة (سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف)، رشيدة بنمسعود، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ١٩٩٤م.
- المرأة واللغة، عبدالله الغذامي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٧ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر،المسعودي(أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: كمال مرعي، بيروت، المكتبة العصرية ٢٠٠٥م.
- المستطرف في كل فن مستطرف، الأبشيهي(شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور ت ٨٥٢هـ) تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م.
- المستظرف من أخبار الجواري، السّيوطيّ، تحقيق: صلاح الدين المنجّد، بيروت، دار الكتاب الجديد،١٩٩٣م.
- المسند الصحيح ، مسلم(بن الحجاج بن مسلم القشيريّ ت ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٩٥٥م.
- مصطلح الفحولة في النقد العربي، محمد مريسي الحارثيّ، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية أسيوط، العدد١٩٨٩،٩م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ابن خاقان الإشبيلي (أبو نصر الفتح بن محمد ت ٥٢٨هـ)، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، دار عمار، ومؤسسة الرسالة، ١٩٨٣ م.
- مَعَاهِد التَّنصِيص في شَرح شوَاهد التَّلخِيص، العبَّاسيّ (عبد الرَّحيم بن أحمدَ ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدِّين عَبد الحميد، بَيْرُوت، عالم الكُتُب، ١٩٤٧م.
- مفهوم الشعر عند ابن سلام الجمحي من خلال طبقاته(دراسة نسقية)، مصطفي بوخبزة، فاس، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، ٢٠١٨م.
- مفهوم " فحولة الشعراء " في تراثنا النقدي، عبدالله بن سالم المعطاني، جامعة الملك عبدالعزيز، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد٣، ١٩٩٠م.
- مفهوم الفحولة وموضوعاتها في الشعرية العربية القديمة، وليد عثمان، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة،٢٠٠٩م.
- الممانعة الشعرية، أنماطها وغاياتها إلى نهايات القرن الرابع الهجري، جمال عبدالحميد السوداني، بغداد، مجلة آداب المستنصرية،عدد٥٨ ،٢٠١٢م.

- المنتقى من المجاراة والمجازاة، الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ)، انتقاء: شرف الدين محمد الزرعي (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق: أحمد رفيق الطحان، القاهرة، دار الكتب، ٢٠١٨م.
- المنصف للسّارق والمسروق منه، ابن وكيع(الحسن بن علي الضبي التّنيسي ت ٣٩٣هـ)،تحقيق: عمر خليفة بن إدريس، بنغازي، جامعة قار يونس، ١٩٩٤ م.
- موسوعة شهيرات النساء، خليل البدوي، عمان، دار أسامة للنشر،١٩٩٨م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني (أبو عبيد الله بن محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ)، القاهرة، دار نهضة مصر،(د.ت).
-
- الموشى (الظرف والظرفاء)، الوشّاء(محمد بن أحمد بن إسحاق ت ٣٢٥هـ)،تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي،ط٢، ١٩٥٣ م.
- نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد بدر معبدي، القاهرة، مطبعة الأمانة، ١٩٨٣م.
- نَضرَة الإغريض في نُصرة القَريض، المظَفَّر العلويّ (الفضل بن يحيى، أبو علي، ت٦٥٦هـ)، تحقيق: نهى عارف الحسن، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية،١٩٧٦م.
- النّظام الأبويّ وإشكاليّة الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدريّ، بيروت، دار السّاقي ،٢٠٠٣م.
- نَفْح الطّيبِ من غُصْن الأندلُسِ الرَّطيبِ، المقَّري(أحمَد بن مُحَمَّدٍ التّلمسَانيّ٩٢٢-١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، بَيْرُوت، دَار صَادِر، ١٩٨٨م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري(أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين ت ٧٣٣هـ، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م .
- الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين، مغلطاي(أبو عبد الله علاء الدين ت ٧٦٢هـ)، تحقيق محمد عبد السلام أبو شوشة، رسالة دكتوراه، آداب طنطا، ٢٠٠٨م.
- الوافي بالوفيات، الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الوعي بالكِتابةِ، سوسن ناجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.